تفسير سورة الإنسان

د. أحمد محمد على عثمان

مدرس التفسير وعلوم القرآن

بكلية الدراسات بسوهاج

الحمد لله رب العالمين ، أحمده سبحانه على كل نعمه تفضل بها علينا ، وأصلى وأسلم على سيدنا محمد النعمة المسداه ، والسراج المنير الذى أرسله ربه رحمة للعالمين ، وخاتماً للأنبياء والمرسلين فقام برسالته خير قيام فأداها بأمانة ، وبلغها فى وضوح ونصرها بالنفس والنفيس ، فأثمرت ثمارها وأتت أكلها كل حين باذن ربها • فأخرجت رجالا عمروا الحياة بأخلاقهم ومعرفتهم لربهم ، ونصرتهم لدينهم حتى كانوا مثلا عليا يقتدى بهم فى كل خير ، واستحقوا ثناء الله عليهم فقال تعالى فيهم : « **أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب** »(١) •

وبعد : ـ

فهذا بحث قرآنى يتعلق بسورة كريمة من سور القرآن الكريم هى « سورة الانسان » تلك السورة التى اهتمت بالحديث عن الانسان فى نشأته الأولى وفى أحواله الدنيوية • وأحواله الأخروية • دفعنى الى الكتابة فيها عاملان إثنان :

أحدهما : أنها سورة قليلة الآيات تتفق والأبحاث التى تنشر فى المجلات وقد جعلته موجزاً لهذا السبب •

---

(١) سورة الزمر آية : ١٨ .

وثانيهما : إهتمامها بالانسان والأنسانية فى كل أحواله وتقلباته • خصوصاً وأن الانسانية تحارب اليوم بألوان المادية الطاغية فى العالم فى كل مكان من أرض الله تعالى •

وقد نظمت هذا البحث على شيئين اثنين هما :

١ ــ التمهيد ويشمل اسم السورة ، مناسبتها لما قبلها فى الترتيب النزولى والترتيب المصحفى ثم مكان نزولها وعدد آياتها ، ثم مقاصدها والأسلوب الذى استخدمته •

٢ ــ العرض والبيان للسورة عرضاً يسير على هذا المنهج :

(أ) ربط الآيات بعضها ببعض مرقمة فى مواضعها •

(ب) تناول الحروف والكلمات بالشرح والتفصيل وأعنى بالحروف تلك الحروف التى لها معانى مختلفة بحسب استخدامها فى لغة العرب وفى القرآن الكريم خاصة لما لهذه المعانى من فائدة •

(ج) ذكر ما يستفاد من الآيات من عبر وعظات وأحكام هذه خطتى فى هذا البحث ، وأرجو الله تعالى التوفيق والسداد والهدى والرشاد •• والله حسبى ونعم الوكيل •

« أولا : التمهيـــد »

لابـد لمـن يفسـر سورة الانسان أو غيرهـا من السـور أن يتـكلم عن متعلقاتها ليكون ذلك بمثـابة التمهيـد لهـا والتوطئـة لفهمهـا فهمـا دقيقـاً ومتعلقات السـورة هى :

١ ــ اسـم السـورة

تسمى هـذه السـورة بسـورة الانسان نظـرا لذكـر لفـظ الأنسـان فى مستهلها ولأنهـا اهتمت بالانسان خلقـا وخلقـاً ومصيرا وتسمى سورة الدهـر وذلك لذكـر كلمـة الدهـر فيهـا ولأهميتـه فى حيـاة الأنسـان .

وتسمى سـورة الأمشـاج لان الأمشـاج طـور من أطـوار الأنسـان الأولى فهـو يتكون أول ما يتكون (من نطفـة امشـاج) .

وتسمى سـورة (هـل أتى) لافتتاحها بهـذا اللفظ الكـريم وقـد دلت على ذلك أقـوال العلمـاء المهتمين بدراسة القرآن الكريم قـال الفيروز آبادى « ولهـا ثلاثة أسـماء .. سورة (هـل أتى) لمفتتحها ، وسـورة الأنسان لقـوله (على الانسـان) ، وسـورة الدهـر لقـوله حين من الدهـر »(٢) .

٢ ــ مناسـبتها لمـا قبلهـا

لهـذه السـورة الكريمة مناسـبة لمـا قبلها من حيث الترتيب النزولى ومن حيث الترتيب المصحفى .

---

(٢) بصـائر ذوى التميز فى لطائف الكتاب العزيز ــ للفيروز آبادى جـ ١ ص٤٩٣ .

أمـا مناسبتها لـما قبلهـا حسب الترتيب النزولى فهى أن سورة الانسـان نزلت بعـد سورة الرحمن وسـورة الرحمن بينت فضل الله على عبـاده ونعمـه عليهم بالخـلق والأيجـاد وتعليم المنطق والبيان واكرامهم بنزول القـرآن وغـير ذلك من النعـم التى لا تعـد ولا تحصى • فجـاءت سورة الأنسان لتتكلم عن نعمـة الخلق بشىء من التفصيل أكثـر ممـا فى سـورة الرحمن وتبين موقف النـاس من نعـم الله تعـالى بأن منهـم الشـاكر لربـه ومنهـم الجـاحد وبينت كـذلك أن الله سيجازى كـل واحـد من الصنفين بجـزاء يتناسب وحـاله •

أمـا مناسبتها لـما قبلهـا حسـب الترتيب المصحفى فهى :

أن سـورة القيامة انتهت بقـوله تعالى « أليس ذلك بقـادر على أن يحيى المـوتى » فكانت هـذه النهـاية بمثـابة السـؤال الذى يتطلب جـواباً عليـه فجـاءت سورة الأنسـان لتجيب على هـذا السـؤال وتبين أن الله تعـالى قـادر على إحيـاء الموتى وأن قـدرة الله تعـالى قـوية قاهـرة لا يعجزها شىء فى الأرض ولا فى السماء فهـو سبحانه وتعـالى يوجـد من شىء ومن لا شىء ويحاسب الخلق على ما قدمت أيديهـم بعـد أحيائهم مـرة ثانية من قبورهم ، وقـد تكلم بعض العلمـاء عن ذلك فقـال « ومناسبة هـذه السورة لـما قبلهـا قـوله تعالى فيمـا قبلها (أليس ذلك بقـادر على أن يحيى المـوتى) أى أن أول هـذه السورة يتحـدث عن مبـدأ خلق الأنسان وأنـه كان قـد أتى عليـه حين من الدهـر قبـل خلق الأنسان لم يكن شـيئاً مذكـوراً ثم كـان • وآخـر السـورة السابقة أليس ذلك بقـادر على أن يحيى المـوتى • والفـرض الاستدلال بهـذه

السورة على إمكان البعث بطريق آخر غير ما كان فى السورة السابقة »(٣) .

٣ ــ مكان نزول السورة

اختلف العلماء فى مكان نزول السورة فقال البعض بمكيتها وقال الآخرون بمدنيتها فعدها السيوطى رحمه الله تعالى من السور المدنية فى الاتقان(٤) وهى مدنية فى المصحف الأمام . وقال ابن عباس هى مكية كلها(٥) .

والراجح أنها مدنية وهو قول الجمهور وهو الذى يؤيده رسم المصحف العثمانى وبه قال الزركشى وهو ما أميل اليه وأرجحه لسببين هما :

١ ــ قول جمهور العلماء بمدنيتها وهو رسم المصحف الأمام .

٢ ــ أن السورة تكلمت عن النذر وهو شريعة من الشرائع وحكم من الأحكام ومعروف لكل باحث فى القرآن أن السور المدنية هى التى تميزت بنزول الأحكام فيها وسبب النزول لآية النذر يؤكد ذلك . وسيأتى تحقيق ذلك عند تفسير قوله تعالى « يوفون بالنذر » .

٤ ــ عدد آياتها

تكونت هذه السورة من إحدى وثلاثين آية وهو العدد

---

(٣) حاشية الجمل على الجلالين نقلا عن فتح العلى المالك لتفسير جزء تبارك ، د. على نصر ص٢١٢ .

(٤) الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى جـ ١ ص١٠ .

(٥) تنوير المقياس فى تفسير ابن عباس ص٤٩٥ .

الذى قال به علماء التفسير وهو المذكور فى المصاحف جميعها

يقول الأستاذ الدكتور / على محمد نصر « أما عدد آياتها فاحدى وثلاثون آية قولا واحداً بلا خلاف(٦) ، وقد جاء فى تنوير المقياس أن عدد آياتها ثلاثون فقط(٧) وهو قول ضعيف لأنه جاء من أوهى الطرق عن ابن عباس وهى طريق محمد بن السائب الكلبى • ولأنه خالف ما عليه الثقات من المفسرين كابن كثير والكشاف وغيرها •

٥ ــ مقاصدها

لكل سورة من سور القرآن مقصد وهدف وسورة الأنسان كغيرها من السور لها هدف وغاية ومقصودها يفهم من خلال اسمها ومن خلال نصها فاسمها سورة الانسان وآياتها تحدثت عن الأنسان فى بدايته ونهايته وفى دنياه وفى آخرته فبينت أنه قد وجد من عدم أو من نطفة أمشاج وأنه إما شاكراً وإما كفوراً وأنه سيأتى الى ربه ليحاسبه فيكون سعيداً منعماً أو شقيا معذباً وأنه خاضع لمشيئة الله تعالى إن شاء أدخله فى رحمته وفضله وإن شاء أخرجه وطرده • نرجو الله تعالى أن يجعلنا ممن يدخلهم فى رحمته • وهذا ما يبدو واضحاً من أول السورة الى نهايتها •

٦ ــ أسلوبها

جاءت هذه السورة على أساليب متعددة تتفق وهدفها ، فقد اشتملت على الأساليب الآتية :

---

(٦) فتح العلى المالك فى تفسير جزء تبارك للدكتور / على محمد نصر ص٢١٢ .

(٧) تنوير المقياس فى تفسير ابن عباس ص٤٩٥ .

(أ) أسلوب الاستفهام كما فى قوله تعالى فى بداية السورة « هل أتى على الأنسان » وهو من أساليب الانسان البلاغية .

(ب) أسلوب الخبر كما فى قوله تعالى « إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه » .

(ج) أسلوب الترغيب فى الطاعة كما فى قوله تعالى « وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا » .

(د) أسلوب الترهيب من المعصية كما فى قوله تعالى« إنا اعتدنا للكافرين سلاسلا وأغلالا وسعيرا » ثم استخدمت أسلوب الوعظ والتذكير المصحوب بالترغيب والترهيب والانعام وذلك ما نراه فى الآية الأخيرة منها « إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا وما تشاؤن إلا أن يشاء الله ان الله كان عليما حكيماً يدخل من يشاء فى رحمته والظالمين أعد لهم عذابا أليماً » .

بهذا أكون قد بينت بعض المعلومات الهامة التى لابد من معرفتها للدخول فى تفسير السورة الكريمة . وسأبدا بعون الله وتوفيقه الآن فى عرض السورة عرضاً مفصلا حسب المنهج الذى وضعته لنفسى راجياً الله تعالى أن يجرى الحق على قلبى ويحرك به قلمى .

« ثانياً : العرض والبيان »

تبدأ هذه السورة المباركة بقول الله تعالى : **« هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكوراً (١) »** .

اللغة ومعانى المفردات :

هل حرف استفهام له معان متعددة أشار اليها السيوطى فقال « حرف استفهام يطلب به التصديق دون التصور ولا يدخل على منفى • ولا شرط • ولا إن • ولا اسم بعده فعل غالبا • ولا عطف • قال ابن سيده « ولا يكون الفعل معها الا مستقبلا ورد بقوله تعالى « فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً » وترد بمعنى (قد) وبه فسر « هل أتى على الانسان » وبمعنى النفى « هل جزاء الأحسان الا الاحسان » ثم قال فى باب الاستفهام وقد تستعمل صيغة الاستفهام فى غيره مجازاً وألف فى ذلك العلامة شمس الدين بن الصائغ كتابا سماه (روض الأفهام فى أقسام الاستفهام) قال فيه قد توسعت العرب فأخرجت الاستفهام عن حقيقة لمعان أو أشربته تلك المعانى ولا يختفى التجوز فى ذلك بالهمزة خلافا للصغار(٨) وساق هذه المعانى بأمثلتها ومنها على سبيل الاختصار النفى ، التوبيخ ، التقرير ــ التعجب ــ الى آخر المعانى الاثنين والثلاثين والشاهد أن هل لها معانى كثيرة حقيقية أو مجازية وأنها فى كل موضع من القرآن قد يختلف معناها بحسب السياق وهى فى هذا الموضع بمعنى قد أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكور أو قد تفيد التحقيق لدخولها على الفعل الماضى ويكون معنى الجملة الخبر ولفظها الأنشاء ••

أتى جاء ومر ومضى من الأتيان ومنه قوله تعالى

---

(٨) الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى جـ ١ ص١٧٨ ، جـ ٢ ص١٧٩ .

« قالتا أتينا طائعين » أى جئنا منقادين لأمرك مطيعين لحكمتك .

على حرف من حروف الجر يفيد الاستعلاء والفوقية ، قال الأستاذ دياب عبد الجواد يتكلم عن هذا الحرف « على التى هى حرف موضوعة للاستعلاء وهو علو الشىء على غير ومنه يقال (فلان علينا أمير لأن للأمير علوا وارتفاعاً على غيره والاستعلاء إما حسى مثل قوله تعالى « كل من عليها فان » وقوله عليها وعلى الفلك تحملون ، وإما معنوى نحو قوله تعالى « فضلنا بعضهم على بعض » والمعنوى يراد به الوجوب واللزوم ، ثم قال بعد كلام كثير « ذكر بعض العلماء لعلى الحرفية معانى أخرى نذكرها للفائدة ، فمنها المصاحبة كمع مثل « وآتى المال على حبه » ومنها المجاوزة كعن مثل « إذا رضيت على بنى قشير » ومنها التعليل كاللام مثل « ولتكبروا الله على ما هداكم » ومنها الظرفية ـ مثل « ودخل المدينة على حين غفلة » ، ومنها موافقة من مثل « وإذا اكتالوا على الناس يستوفون » ومنها الاستدراك كلكن نحو « فلان لا يدخل الجنة على أنه لا ييأس من رحمة الله » ومنها أن يكون زائدة مثل « لا أحلف على يمين أى يميناً »(٩) .

الانسان إسم جنس يطلق على آدم وذريته واختلف فى اشتقاقه

---

(٩) حروف المعانى وعلاقتها بالحكم الشرعى للاستاذ الدكتور / دياب عبد الجواد ص١٢٥ ، ١٢٦ .

هـل هـو من الأنس لانه يأنس بغـيره ويأنس بـه غيره ، أم هـو من النسيان لأنـه ينسى • قـال الفيروز آبادى « وهـو إسـم على وزن (فعـلان) وجمعـه من حيث اللفـظ (أناسين) كسرحان وسراحين غـير أن الجمـع الأصلى غـير مستعمل وجمعـه المعروف ناس و (أناس) (وأنس) ، (وأنـس) والأنس جمـع جنس •• وسمى بـه لأنـه يأنس ويؤنس بـه ، ويقـال إن اشتقاقه من الأيناس وهـو الابصار والعلم والاحساس(١٠) وهى معانى كلهـا مقبولة دل عليهـا حـال الأنسان ويقصد بـه هنـا آدم على الراجـح لأنـه الانسان الأول الذى ظهـر بعـد الحين ولأنـه لم يخلق من أمشـاج كمـا فى الآية الثانية هـذا ما أراه •• والله أعـلم •

حـين الحين وقـت من الزمن يطـول ويقصر فقـد يكون طويلا غـير معلوم لأحـد من البشـر كمـا فى هـذا الموضع • وقـد يكون قصـيراً معلوماً كمـا فى قـوله تعالى « وأنتم حينئذ تنظـرون » أى فى هـذا الوقت وهـو وقت النظـر وحين ظـرف زمـان بمعنى الوقت مثـل آتيك حين العصر أى فى وقت العصر • قـال الفيروز فى معنى الحين « وهـو وقت مبهـم يصلح لجميـع الأزمـان طالت أو قصرت يكون سـنه ، وأكثـر ، وقيـل الحين الدهـر ، وقيـل يختص بأربعين سـنة ، وقيـل سـبع سنين ، وقيـل سنتين ، وقيـل سـتة أشهر : وقيـل شهرين ، وقيـل فى كـل

---

(١٠) بصائر ذوى التمييز فى لطـائف الكتاب العزيز للفيروز آبادر ، جـ ٢ ص٣١ ، ٣٢ •

غدوة وعشية حين(١١) ، أقول وغالب هـذه الاستخدامات جـاءت فى القـرآن الكريم وفى لغـة العـرب وهى تـدل على أن الحين ليس محـدداً بوقت معين وهـو الزمـن طـال أم قصـر .

مـن حـرف من حروف الجـر ومعنـاه البيـان أو التبعيض وهـو للابتداء ويكـون بمعنى التعليل والفصـل والبـدل كمـا نص على ذلك السيوطى فى الاتقـان(١٢) .
وفى هـذا الموضـع هى للبيـان إن قصـد بهـا تمييـز الحين وللتبعيض إن قصد الجـزء السـابق لخلق الانسان آدم عليـه السـلام .

الدهـر يقصـد بـه الزمن الطـويل ، قـال الفخـر الرازى عند تفسـيره لهـذه الجملة « حين من الدهـر » فيـه قولان :
الأول : أنـه طائفـة من الزمن الطويل الممتـد وغـير مقـدر فى نفسـه .

والثـانى : أنـه مقـدر بالأربعين(١٣) .
والراجـح الأول لان تحديد الأربعين ليس بالقوى لمخالفته لظواهـر النصوص ومنهـا قوله تعالى « فأمنوا فمتعناهم إلى حين » قـال السيوطى فى معناها « فأمنوا عند معاينة العـذاب الموعودين بـه (فمتعناهم) أى أبقيناهم ممتعين بحالهـم (الى حين) تنقضى آجالهم فيـه(١٤) والمـدة

---

(١١) المرجـع السـابق جـ ٢ ص٥١١ .
(١٢) الاتقـان للسيوطى جـ ١ ص١٧٦ .
(١٣) التفسير الكبـير للرازى جـ ٣٠ ص٢٣٥ .
(١٤) تفسـير الجلالين جـ ٢ ص١٢٨ .

الباقية من آجالهم تختلف من واحد للآخر منهم وهذا يدل على ضعف القول بالأربعين سنة • والله أعلم •

شيئاً الشيء يطلق ويراد به المخلوقات الموجود منها والمعدوم والله على كل شيء قدير فقدرته تعالى لا يعجزها شيء سواء كان موجوداً أو معدوماً كالشريك والولد لله تعالى فهما معدومان يستحيل وجودهما على الله تعالى لنزاهته عنهما وهو هنا أطلق على الأنسان وقت عدمه فلم يكن شيئاً يذكر ثم وجد بعد ذلك الحين • فأصبح له ذكر بين العوالم وكان سيدها بفضل خالقه جل علاه •

والاعراب :

هل حرف استفهام بمعنى قد المفيدة للتحقيق •

أتى فعل ماض مبنى على الفتح •

على الانسان جار ومجرور متعلق بأتى تعلق المفعول بفعله •

حين فاعل مرفوع من الدهر جار ومجرور شبه جملة وهو صفة لحين وصفة المرفوع مرفوعة •

لم حرف نفى وجزم ويكن فعل مضارع جزم بلم وشيئا خبر يكن منصوب واسمها محذوف وهو الضمير المستكن فى يكن والراجع الى الانسان وهو مرفوع •

بعد هذا التوضيح المفصل والأعراب المبسط للمفردات يطيب لى أن أذكر المعنى العام للآية ثم ما يستفاد منها •

المعنى العام للآية

فى هذه الآية التى استهل الله بها سورة الأنسان يبين الله

نعالى أنه قد أتى على الانسان آدم عليه السلام حين من الزمن — لا يعلمه الا الله تعالى — لم يكن فيه — ذكر ولا وجود ظاهر ثم أنعم الله تعالى عليه بالوجود فأوجده من العدم وخلقه من لا شيء وجعل له ذريته التى يمتد بها ذكره الى نهاية الحياة الدنيا • وتلو نعمة يمنها الله على آدم وعلى أبنائه من بعده تستحق منهم الشكر الكثير والصلة المستمرة بالله العلى القدير وتستدعى الآدميين أن يتواضعوا ويتذللوا لله تعالى من منطلق العبودية له سبحانه والافتقار اليه فى كل أحوالهم وأزمانهم •• هذا معنى الآية ببساطة شديدة ، وأما ما يستفاد من الآية فهو :

١ — حدوث الأنسان ووجوده من شيء أو من لا شيء فمن شيء كأولاده وجدوا من نطفة ، أما آدم عليه السلام فوجد من لا شيء •

٢ — حاجة الانسان الى ربه فى كل شأن من شئون حياته وفى كل وقت من أوقاته •

٣ — قيمة الزمن فى حياة الأنسان فالانسان ابن وقته •

٤ — إختلاف معانى الكلمات والحروف باختلاف الاستخدام •

« الانسان بعد آدم عليه السلام »

بعد أن بين الله تعالى أنه قد مضى على الأنسان آدم عليه السلام حين من الدهر لا يوجد له ذكر ولا لأبنائه عدم الأب يستلزم عدم الأبن وأنه قد جاء بعد حين من الدهر فأصبح له ذكر • بين سبحانه أساس أبنائه من بعده فقال :

« إنـا خلقنـا الأنسان من نطفـة أمشـاج نبتليه فجعلنـاه سـميعاً بصـير (٢) » .

اللغـة ومعـانى المفـردات :

إنـا ضمير المفـرد المعظـم نفسه وهـو الله تعـالى ويكـون للجماعة المتحـدثة عن نفسها كقـول أصحاب الجنـة (إنـا إلى ربنـا راغبون) وعليـه فقـد يـراد بهـا مفـرد وقـد يـراد بهـا جمـع .

خلقنـا الخـلق هـو الأنشاء من عـدم على غـير مثـال سـبق هـذا أصـله وقـد يطلق على التصوير والتقدير ، قـال الفيروز آبادى « وهـو التقدير المستقيم ويستعمل فى ابداع الشىء من غـير أصـل ولا احتذاء . قـال تعالى خـلق السموات والأرض ويستعمل فى إيجـاد الشىء من الشىء « خلقكم من نفس واحـدة » وليس الخـلق بمعنى الابداع الا للـه تعـالى ، وأمـا الذى يكـون بالاستحالة (أى بالتحـول) فقـد جعله الله لغـيره فى بعض الأحـوال كعيسى عليـه السـلام حيث قـال « وإذ تخلق من الطين كهيئـة الطـير »(١٥) .

نطفـة النطفـة هى المـاء المهين(١٦) وهـذا المعنى يؤيده القرآن الكـريم نفسـه فى قوله تعـالى « ألـم نخلقكم من مـاء مهيـن »(١٧) ويعنى بالمـاء المهين مـاء الرجـل وهـو

---

(١٥) بصـائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادى ، جـ ٢ ص٥٦٦ .

(١٦) العمـدة فى غريب القـرآن لأبى محمـد القيس ص٢١٥ .

(١٧) سـورة المرسلات آيـة : ٢٠ .

أبيض وماء المرأة وهو أصفر قبل امتزاج كل بالآخر .

أمشاج اخلاط جمع مشج والمشج الخلط ويعنى به اختلاط ماء الرجل بماء المرأة ، وقد ذكر الفخر الرازى معناه فقال « الأمشاج الأخلاط .. واختلفوا فى معنى كون النطفة مختلطة والأكثرون على أنه اختلاط نطفة الرجل بنطفة المرأة كقوله « يخرج من بين الصلب والترائب » قال ابن عباس هو اختلاط ماء الرجل وهو أبيض غليظ ، وماء المرأة وهو أصفر رقيق ويخلق الولد منهما . فما كان من عصب وعظم وقوة فمن نطفة الرجل . وما كان من لحم ودم فمن ماء المرأة . وقال مجاهد هى ألوان النطفة فنطفة الرجل بيضاء ونطفة المرأة صفراء ، وقال عبد الله أمشاجها عروقها ، وقال الحسن يعنى من نطفة مشجت بدم وهو دم الحيض وذلك أن المرأة إذا تلقت ماء الرجل وحبلت أمسك حيضها فاختلطت النطفة بالدم(١٨) .

أقول وهذه الأقوال كلها يرجع الى القول الأول فى معنى النطفة وهو أنها الماء الذى اختلط فصار أمشاجاً وقد وجدت وسائل العصر فى الطب فعلمت هذه الأشياء على حقيقتها وأكدت الكثير من أقوال السابقين وبينت خطأ السابقين فى أشياء كثيرة .

والمعانى التى سيقت هنا أكدها العلم الحديث :

---

(١٨) التفسير الكبير للرازى ج ٣٠ ص٢٣٦ .

وابتليه الابتلاء الأختيار ويكون بالخير وبالشر وبالتكاليف الشرعية ، يقول الشيخ مخلوف « ونبتلين له بالتكاليف فيما بعد »(١٩) .

فجعلناه جعل تأتى بمعنى خلق كقوله تعالى « وجعل الظلمات والنور » ، وتأتى بمعنى صير وحول كما فى قوله تعالى هنا « فجعلناه سميعاً بصيراً » . يقول صاحب الكشاف ما يفيد التحول والانتقال « ويجوز أن يراد ناقلين له من حال الى حال فسمى ذلك ابتلاء على طريق الاستعارة . وعن ابن عباس نصرفه فى بطن أمه نطفة ثم علقة(٢٠) ، فالمعنى هنا صيرناه سميعاً بصيراً .

خبر من نطفة أمشاج جار ومجرور متعلق بخلقنا . وأمشاج بدل من نطفة أو عطف بيان لها ، قال النسفى (من نطفة أمشاج) نعت أد بدل منها أى من نطفة قد امتزج فيها الماآن ونبتايه حال أى خلقناه مبتلين له(٢١) فجعلناه جملة فعلية ، سميعاً بصيراً وجعل هنا نصبت مفعولين أحدهما الهاء فى فجعلناه والثانى سميعاً وبصيراً معطوف عليه آخذ حكمه .

المعنى العام للآية :

يخبر الله تعالى عن خلق الأنسان بعد آدم بأنه خلق من نطفة أى ماء مهين كائن من الرجل والمرأة مسمى بالأمشاج

---

(١٩) كلمات القرآن للشيخ مخلوف ص٣٩٦ .
(٢٠) الكشاف للزمخشرى ج ٤٠ ص١٦٧ .
(٢١) تفسير جزء تبارك للنسفى ص٦٢ ، ط. الازهر .

بعد اختلاطه وامتزاجه ببعضه ثم جعله ذا سمع وبصر ليكلفه ويختبره بالتكاليف الشرعية حتى يعلم علم مشاهده وواقع شكره وكفره ومقدار هدايته للسبيل المستقيم .

ويستفاد من الآية :

١ ــ إن الله تعالى هو الخالق لعباده وحده لا يشاركه أحد فى خلقهم .

٢ ــ أن الله تعالى خلق الخلق للبلاء والاختبار بالتكاليف وغيرها ولم يخلقهم عبثاً لتنزهه عن ذلك .

٣ ــ أن الخلق لم يكن مرحلة واحدة بل كان مراحل مختلفة يكمل بعضها البعض .

٤ ــ أن السمع والبصر نعمتان كمل بهما الخلق يستحقان الشكر عليهما لله تعالى .

« الهداية الالاهية »

بعد أن بين الله تعالى أنه أنعم على الانسان بالخلق والايجاد تحدث الله تعالى عن نعمة أخرى هى نعمة الهداية فقال سبحانه عز اسمه « **إنا هديناه السبيل . اما شاكراً وإما كفورا (٣)** » .

اللغة ومعانى المفردات :

هديناه الهداية لها معان متعددة وأنواع متعددة وهى فى مفهومها الأساسى الدلالة على المطلوب ، وقد تكلم عنها العلماء كثيراً ومن أحسن من تكلم فيها الأمام محمد عبده رحمه الله تعالى ومختصر كلامه أن الهداية

تكـون بمعنى الأرشـاد والبيـان كمـا فى قوله تعـالى وهديـناه النجدين ، وتكـون بمعنى التوفيق كمـا فى قوله تعـالى « ولكن الله يهـدى من يشـاء » وتكـون بمعنى العـلم الموجـود فى الدين كمـا فى قـوله تعـالى « ذلك هـدى الله » وفى لسـان العـرب ما يفيد هـذه المعـانى « من أسـماء الله تعـالى الهـادى » ، قـال ابن الأثـير هـو الذى بصـر عباده وعرفهم طريق معرفته حتى أقروا بربوبيته ، وهـدى كـل مخلوق الى ما لابد لـه منـه فى بقـائه ودوام وجـوده • وقـال ابن سيده الهـدى ضـد الضـلال وهـو الرشـاد(٢٢) والهداية هنـا هى البيـان والعـلم •

السـبيل هـو الطريق ويقصـد بـه الطـريق المستقيم بمـا فيـه من أمـر ونهى • يقـول الشيخ عبد القـادر المغـربى « والمـراد بالسبيل جنـس السبيل كـأنه يقـول أشرعنا أمـام عينيـه السـبل المختلفة مـذ أوحينا إليـه شرائعنا بواسطة الرسـل(٢٣) •

إمـا حـرف من حروف الشرط ، قـال الزركشى وتكـون بمعنى الشرطية مركبـة من (إن) و (مـا) الزائـدة وهـذه لا تتكرر ثم قـال ما يبين معناها هنـا واختلف فى قـوله تعـالى « إمـا شـاكراً وامـا كفـورا » فقال البصريون للتخيير فانتصـاب شـاكر وكفـور على الحـال ثم قـال وأجـاز الكوفيون أن تكون هاهنـا شرطية أى إن شـكر

---

(٢٢) لسان العـرب لابن منظـور ج ٦ ص٤٦٣٨ .

(٢٣) جـزء تبارك للشيخ عبد القـادر المغـربى ص١١٦ .

وإن كفـر(٢٤) والوجه الأول هـو المقبول الراجح الواضح المعنى .

شـاكراً هـو الحـامد المعترف لله تعـالى بالنعمـة وقـد فسـر الحمـد بالشكر صـاحب كتـاب العمـدة فى غريب القرآن فقـال (الحمـد) الشـكر(٢٥) وبينهمـا فـروق منهـا أن الحمـد يكـون الى العطـاء والمنـع لكن الشـكر يكون على العطـاء فقـط والمعنى هنـا شـكر الله على الهداية بالسـير عليهـا .

كفـوراً أى منـكر جاحـداً فالكفـر ضـد الأيمان والكفور ضـد الشكور والمـادة كلهـا تدل على الاكنار والجحـود كمـا فى قـوله تعـالى « لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عـذابى لشـديد » وعليه فمعنى كفـور أى منكراً لنعمه الهـداية غـير منتفـع بهـا .

وبعـد أن اتضحت معـانى المفردات آتى على أعـراب الآيـة فأقـول وبالله أستعين :

إنـا مبتـدأ وهديناه السبيل فعـل وفاعل ومفعول .

إمـا حـرف شرط وشاكراً أو كفورا منصوبان على الحال .

المعنى الأجمـالى للآيـة :

بين الله تعـالى أن من نعمـه على عبـاده نعمـة الهداية بكـل أنواعهـا وأنواعها الغريزية والعقلية والشرعية . وأنـه بين لعبـاده السـبيل المستقيم الذى تصـلح بـه حياتهم وتستقيم بـه شئونهم

---

(٢٤) البرهـان فى علوم القـرآن للزركشى ج ٤ ص٢٤٦ .
(٢٥) العمـدة فى غريب القـرآن لأبى محمـد القيس ص ٦٧ .

إن اتبعـوه • وتنعكس وتنتكس وترجـع الى الخـلف ان عـاندوه وخالفـوه لكن العبـاد كـان نهـم الموفق المسـدد المهتدى وكـان منهـم الضـال الغـاوى المتردى الى أسـفل سافلين وذلك ما يفيده قـوله تعـالى « إمـا شـاكراً أو كفـورا » هـدانا الله السـبيل •

ويسـتفاد من الآيـة :

١ ــ أن الله تعـالى هـو الهـادى الموفق لعبـاده والمبين لهـم بشريعتـه •

٢ ــ اختيـار العبـد للهـدى أو الضـلال •

٣ ــ اختـلاف النـاس فى قبولهم لدين الله تعـالى فمنهـم المؤمن الشـاكر ومنهـم الكافـر الجـاحد •

« بيـان ما أعـده الله تعـالى للكافـرين »

فى الآيـة السابقة بين الله تعـالى أن النـاس أمـام هـداية الله نوعان امـا مؤمنـاً شاكراً وامـا كافـرا جـاحد أراد أن يفصل ويبين ما أعـده للكافرين فقال عـز جاهه : **« إنـا أعتدنا للكافرين سلاسلا وأغـلالا وسـعيراً »** •

اللغـة ومعـانى المفـردات :

أعتـدنا هيـأنا وجهـزنا من الأعـداد الذى يكون بالعـدة والعتاد جـاء فى المختـار « أعـده لأمـر كـذا هيـأه لـه والاستعداد للأمـر التهيـؤ لـه »(٣٦) •

سلاسلا جمـع سلسلة وهى ما يربط بـه الشىء أو ينتظـم فيـه

---

(٣٦) المختار الصحاح للـرازى ص١١٣ ، ١١٤ .

ومنـــه التسلسل والتتـــابع فى الحـــديث ، قـــال المغربى والسلاسل القيـــود وقـــالوا إنهـــا تكـــون فى الأرجل(٢٧) وهـــو يؤيـــد ما ذكـــرت ويقـــويه .

أغـــلالا جمع غـــل وهـــو الطوق من حـــديد ويكون فى الأيدى(٢٨) وعليـــه فالغـــل ما يغـــل بـــه الشىء أو الشخص .

وســـعيراً السعير اســـم من أســـماء النـــار وهـــو النـــار الموقـــدة وسميت بالسعير لأنهـــا تسعر بمن فيهـــا ، كمـــا قال الله تعـــالى « وإذا الجحيـــم سعرت » . يقـــول الأمام الجلال « وإذا الجحيـــم » النـــار ، « ســـعرت » بالتخفيف والتشديد أججـــت(٢٩) .

هـــذا باختصـــار شـــديد معنى المفـــردات ..

أمـــا اعـــراب الآيـــة فهـــو :

إنـــا مبتـــدأ مبنى على السكون فى محـــل رفـــع لأنه ضمير والضمائر كلهـــا مبنيـــة .

أعتـــدنا فعـــل وفاعـــل .

للكافـــرين جـــار ومجـــرور متعلق بأعتدنا .

سلاسلا وأغلالا كلاهما مفعول بـــه منصوب وعطف الثـــانى على الأول وفى إيجـــاز الحـــذف للفعل وتقـــدير الكـــلام اعتدنا سلاسلا واعتدنا ســـعير واعتدنا أغلالا ، وكمـــا يقولون (البلاغـــة الأيجاز) .

---

(٢٧) جـــزء تبـــارك ص١١٧ .
(٢٨) جـــزء تبـــارك ص١١٧ .
(٢٩) تفســـير الجلالين ج ٢ ص٢٤٣ .

المعنى الأجمالى للآية

يخبر الله تعالى أنه أعد للكافرين جزاء أعمالهم السيئة عذاباً مؤلما تسبقه الأغلال والسلاسل ويكون بالسعير فى جهنم فيكون الكافر وقوداً تسعر به النار كما قال الله تعالى فى شأن النار **« وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين »** .

يقول الشهيد سيد قطب « فى اليص تصوير جديد للنار فقد علمنا أن وقودها من الناس وأن بعض الناس وبعض الآلهة (حصب جهنم) فالآن ينص على أن وقودها من الحجارة أيضاً وأن الناس يسوون بالحجارة فى هذا الوقود . فليس من الضرورى أن تكون الحجارة معبودات إنما هى جهنم تلتهم كل شىء الناس فيها والحجارة سواء وفى هذا من التحقير لأصحابها ما فيه فهم حجارة تسد مسد الحجارة(٣٠) .

ويستفاد من هذه الآية :

١ ــ عدل الله تعالى فى الحساب إذا أعد للكافرين ما يتناسب وأعمالهم دون زيادة عليه كما قال تعالى « وجزاء سيئة سيئة مثلها » .

٢ ــ الأيمان بالحساب يوم القيامة .

٣ ــ ان الكافرين تصل بهم درجة الأهانة للتسوية بالجمادات وفى ذلك ما فيه من تبشيع للكفر وللكافرين يصد العقلاء عنه .

---

(٣٠) مشاهد القيامة فى القرآن الكريم للشهيد سيد قطب ص٢٠٠ .

« بيـان ما أعـده الله تعـالى للمؤمنين »

بعـد أن بين سبحانه عقـاب الكافرين الجاحدين أتبعه ببيـان عاقبـة المؤمنين الحسنى وتلك سـنة القـرآن فى أسلوبه لأن الاشياء تتمايز بأضدادها . فقال سبحانه مفصـلا الحديث بصورة مشوقة طيبة « إن الأبـرار يشربون من كـأس كان مزاجها كافـورا (٥) عينـاً يشرب بهـا عبـاد الله يفجرونها تفجـيرا (٦) يوفون بالنذر ويخافون يومـاً كان شـره مستطيرا (٧) ويطعمون الطعام على حبـه مسكينا ويتيمـا وأسـيرا (٨) إنمـا نطعمكم لوجـه الله لا نريد منكم جـزاء ولا شـكورا (٩) إنـا نخـاف من ربنـا يومـاً عبوسا قمطريرا (١٠) فوقاهـم الله شـر ذلك اليـوم ولقـاهم نضرة وسرورا (١١) وجزاهم بمـا صبروا جنـة وحـريرا (١٢) متكئين فيهـا على الأرائك لا يرون فيهـا شمساً ولا زمهـريرا (١٣) ودانيـة عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليـلا (١٤) ويطـاف عليهـم بانيـة من فضـة وأكـواب كـانت قواريرا (١٥) قواريرا من فضـة قدروها تقـديرا (١٦) ويسقون فيهـا كأسـاً كان مزاجهـا زنجبيلا (١٧) عينـا فيهـا تسمى سلسبيلا (١٨) ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثورا (١٩) وإذا رأيت ثم نعيـا وملكا كبـيرا (٢٠) عاليهم ثيـاب سندس خضر واستبرق وحـلوا أسـاور من فضـة وسقاهم ربهـم شراباً طهورا (٢١) إن هـذا كـان لكـم جـزاء وكان سعيهم مشـكوراً (٢١) » .

هـذا المقطـع الطـويل من السورة تكلم بالتفصيل الواضـح المسهب عن جـزاء المؤمنين لكن تخلله الحديث عن بعض أوصـاف المؤمنين التى استحقوا بهـا أن يكونوا من أصحاب النعيـم وقـد جـاءت هـذه الأوصاف وسـط الآيات على طريق الاعتضاد للاهتمام بهـا والتركيز عليهـا وحـث المؤمنين فى كـل جيـل أن يمتثلوها . وسـأفرد كـل صـفة بالحديث نهـا حـديثاً مختصراً عند ذكـرى

لمفردها حتى يكون تذكيرا للمؤمنين بها وذلك فى نظرى شيء هام من صلب البحث وليس خروجاً عنه فأبدأ فى بيان ذلك متوكلا على الله تعالى • طالباً أن يجعل لى من وصفهم وصفا ومن جزائهم حظا •

اللغة ومعانى المفردات :

إن حرف توكيد ونصب •

الأبرار جمع بر وهو فاعل كل ألوان البر أوجلها ، قال الشيخ المغربى والبر والبار من جمع فى نفسه بين الصدق والتقوى والاخلاص الى الله والأحسان الى خلقه(٣١) • وقال ابن جزى الكلبى « الأبرار جمع بار أو بر ومعناه العاملون بالبر وهو غاية التقوى والعمل الصالح حتى قال بعضهم الأبرار هم الذين لا يؤذون الذر(٣٢) •

يشربون الشرب هو مص الماء داخل الفم وقد يكون بالعب ، وقد نهى عنه النبى ﷺ فقال « مصوا الماء مصاً ولا تعبوه عبا »(٣٣) ومعناه أنهم يشربون شرب المؤمنين المنعمين وهو الشرب الضيىء •

كأس الكأس هو إناء شرب الخمر وهى فيه والمراد من خمر تسميه للحال باسم المحل ومن للتبعيض(٣٤) •

---

(٣١) جزء تبارك للشيخ المغربى ص١١٧ .
(٣٢) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلبى ج ٤ ص١٦٧ .
(٣٣) الشمائل للترمذى ج ١ ص٣٦٧ ، والجامع الصغير للسيوطى ج ٢ ص١٥٦ .
(٣٤) تفسير الجلالين ج ٢ ص٢٣٥ .

كـــان فعـــل مـــاض ناقص يرفـــع الأسم وينصب الخبـــر يـــدل على المضى إن أســـند الى البشـــر ويدل على الدوام ان أســـند الى الله تعـــالى كقـــوله تعـــالى « وكان الله على شيء قـــدير » .

مزاجها كافورا المـــزاج والمـــزج الخلط أى كـــان مشروبها الموجـــود بداخلهـــا خليطا من الكافـــور وهـــو كمـــا يقول الشـــيخ المغـــربى طيب معـــروف يستحضر من أشجار ببلاد الصين والهنـــد وهـــو من أنفس الطيوب عند العـــرب والمـــراد أن من شرب تلك الكـــأس وجدهـــا فى طيب رائحتها وفوحان شـــذاها ، كالكافور(٣٥) ولعـــله الزنجبيل . كمـــا تشـــير الآيـــة القادمة فى قـــوله تعالى « كـــان مزاجها زنجبيلا » وقـــد بينـــه ابن القيـــم فقـــال ذكـــر أبو نعيـــم فى كتاب الطب النبـــوى من حديث أبى ســـعيد الخدرى رضى اللـــه عنـــه قـــال « أهـــدى ملك الـــروم الى رســـول الله ﷺ جـــرة زنجبيـــل فأطعـــم كـــل انســـان قطعـــة وأطعمنى قطعـــة »(٣٦) وهـــذا يفيـــد أنـــه طعـــام لكن قـــد يخلط بالمـــاء ويشرب كمـــا هو معروف ولـــه فوائد كثيرة أشـــار إليهـــا ابن القيـــم من ضمنها أنـــه ينشف البلغم الغـــالب على البدن ويزيد فى الحفظ ويوافق بـــرد الكبـــد والمعـــدة ويزيل بلتهـــا الحـــادثة عن أكـــل الفاكهة ويطيب النكهـــة ويدفـــع بـــه ضـــرر الأطعمة الليظة البـــاردة(٣٧) .

---

(٣٥) جـــزء تبـــارك للشيخ عبد القـــادر المغـــربى ص١١٧ .
(٣٦) زاد المعـــاد لابن القيـــم ج ٣ ص١٦٨ .
(٣٧) زاد المعـــاد لابن القيـــم ج ٣ ص١٦٨ .

عيناً هى مكان الأبصار من الانسان ومكان الماء من الارض وهى هنا المكان الذى يشربون منه قال الفخر الرازى وأما العين فيها يمزجون شرابهم فكأن المعنى يشرب عباد الله بها الخمر كما « تقول شربت الماء بالعسل »(٣٨) ومنه يفهم أن العين هو الماء الذى يختلط بالخمر .. والله أعلم .

يفجرونها تفجيرا أى يحبسونها ويفتحونها لتخرج الماء ويؤيده قوله تعالى « وفجرنا الأرض عيوناً » وقوله « ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر » ، قال الرازى فى المختار فجر الماء فانفجر أى بجسه فانبجس(٣٩) .

يوفون بالنذر يؤدون النذر لله تعالى وافيا كاملا ، وهنا يطيب لى أن أتحدث أولا عن النذر والوفاء به كصفة من صفات المؤمنين الشاكرين .

« الوفاء بالنذر »

ذكرت أن الوفاء أداء الشيء كاملا لا نقصان فيه ومنه فولنا وفى عمله أى أداه على الوجه الأكمل ومنه الوفاة وهى تمام الأجل والوفاء أداء الجزاء للعباد كاملا كما فى قوله تعالى إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب هذا معنى الوفاء فى يسر وبساطة ، أما معنى النذر فهو فى اللغة الأيجاب وشرعاً التزام ما يلزم من القرب(٤٠) وهو قسمان : نذر طاعة ويجب الوفاء به وهو لا يكون الا لله تعالى كما دلت

---

(٣٨) التفسير الكبير للفخر الرازى ج ٣٠ ص٢٤١ .
(٣٩) مختار الصحاح للرازى ص١٨٦ .
(٤٠) الثمر الدانى فى تقريب المعانى للشيخ صالح الابى الازهر ص٣١٨

عليه نصوص الكتاب والسنة • قال الله تعالى لمريم « فقولى إنى نذرت للرحمن صوماً » ، وقال الله تعالى « يوفون بالنذر » وقال الرسول ﷺ « من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه »(٤١) ، وقال ﷺ « لا نذر فى معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم »(٤٢) ، وقد ذكر ابن العربى فى أحكام القرآن كلاما جيداً فى معنى يوفون بالنذر فقال : « فيه أقوال لبابها قولان » :

أحدهما : يوفون بما افترض عليهم •

الثانى : يوفون بما اعتقدوه وبما عقدوه على أنفسهم ولا ثناء أبلغ منه كما أنه لا فعل أفضل منه فان الله قد ألزم عبده وظائف ، وربما جهل العبد عجزه عن القيام بما فرض الله عليه فينذر على نفسه نذراً فيتعين عليه الوفاء به أيضاً • فاذا قام بحق الأمرين وخرج عن واجب النذرين كان له من الجزاء ما وصف الله فى آخر السورة ثم بين ابن العربى حكم النذر فقال النذر مكروه فى الجملة • ثبت فى الصحيح عن مالك رضى الله عنه عن أبى الزناد عن عبد الرحمن بن هرمز عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : قال الله عز وجل لا يأتى النذر على ابن آدم بشىء لم أكن قدرته له • إنما يستخرج به من البخيل وذلك لفقه صحيح وهو أن البارى سبحانه وعد بالرزق على العمل ، ومنه مفروض ، ومنه مندوب فاذا عين العبد ليستدر به الرزق أو يستجلب به الخير ، أو يستدفع به الشر لم يصل اليه به • فان وصل فهو لبخله •• والله أعلم(٤٣) •

---

(٤١) الموطأ للامام مالك ج ٢ ص٣٠ باب النذر .
(٤٢) مسند الامام الشافعى باب النذر ص٣٥٢ .
(٤٣) احكام القرآن لابن عربى ج ٤ ص٣٥٢ ، ٣٥٣ .

أقول والحكم بالكراهة إنما هو للنذر المعلق لما فيه من الاشتراط على الله تعالى ، لكن النذر الذى يكون بمثابة الشكر لله تعالى على نعمه يكون عبادة ومسنوناً ولولا ذلك ما نذر على الصيام شكرا لله تعالى هو وزوجه لذلك قال الشيخ محمود شلتوت « إن النذر عباده وطاعة يتقرب به العبد الى ربه ويؤكد به معنى العبودية الخالصة • فلا ينبغى أن يكون مذكورا باسم غيره ولا أن يكون فعله مشروطا على السيد المعبود فيكون مقابلة ومبادلة ينزل كثيرا عن درجة العبادة ، ولا يصاحبه الى درجة العابدين الأبرار وقد صح عن الرسول ﷺ أنه قال « إنما النذر ما ابتغى به وجه الله وانه لا يرد شيئاً »(٤٤) •

وبهذا أكون قد بينت شيئا من أحكام النذر نظرا لذكره وأداء لأمانة العلم وموقع النذر تفصيلا تاما هو كتب الفقه •• والله ولى التوفيق •

بخافون الخوف ضد الأمن ويكون من الله تعالى ومن كل ما يضر وهو فى الحقيقة « توقع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة »(٤٥) •

« الخوف من الله تعالى »

من صفات المؤمنين التى تؤهلهم للدخول فى الجنة الخوف من الله حث الله عليه فى كتابه فقال « ويحذركم الله نفسه والى الله المصير » وقال « فاتقوا الله إن كنتم مؤمنين » وقال

---

(٤٤) الفتاوى للشيخ شلتوت ص٢٤٣ .

(٤٥) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادى ج ٢ ص٥٧٦ .

« فـلا تخشوهم واخشـون » الى غـير ذلك من الآيات الدالـة عليـه وقـد حـث الرسول ﷺ المسلمين على الخـوف من الله تعالى فقـال « اتـق الله حيثمـا كنت »(٤٦) فكان ﷺ أشـد النـاس خوفـا من ربـه والخـوف من الله تعـالى يجعـل العبـد مضبوط السـير على الصرط المستقيم لأنـه يخـاف من حساب ربـه لـه هـذا الحساب الذى لا يترك مثقـال ذرة من الخـير الا ويثيب عليهـا ولا مثقـال ذرة من الشـر إلا ويحصيها على صاحبها فـلو خـاف العبـاد ربهـم لعمـلوا بطاعته واجتنبوا معصيته ولفـازوا بمـا أعـده الله تعـالى لهـم من جميـل الثـواب فى قـوله تعـالى « ولمـن خاف مقام ربـه جنتـان » وكقـوله تعـالى « وأمـا من خـاف مقـام ربـه ونهى النفس عن الهـوى فـان الجنـة هى المـأوى » جعلنـا الله تعـالى من الخائفين منـه بمنـه وكرمـه فى كل زمـان وحـال .

عبوسـاً عبـوس الكـلح والكآبة والتقطيب ، قـال الشيخ مخلوف عبس : قطب وجهـه الشريف ﷺ(٤٧) ، واليـوم العبوس اليـوم المشئوم الذى لا يجـد الأشرار فيـه خـيرا قـط لانـه عسـير عليهم يسـير على غيرهم .

قمطريرا القمطرير شـديد العبـوس(٤٨) .

فوقاهم الله وقاهـم حماهم من الوقـاية وهى الحجـاب الواقى من العـذاب ، وهـؤلاء وقاهـم الله العذاب بعفـوه وفضله لمـا قدموه من عمـل . قال الرازى مبينـا المعنى « إعلم أن الله تعـالى لمـا حكى أنهـم أتـوا بالطاعات لغرضين

---

(٤٦) الحديث ورد فى الجـامع الصغير للسيوطى جـ ١ ص٨ .
(٤٧) كلمات القـرآن للشيخ مخلوف ص٤٠٦ .
(٤٨) كلمات القـرآن للشيخ مخلوف ص٤٠٦ .

طلب رضا الله والخوف من القيامة بين فى هذه الآية أنه أعطاهم هذين الفرضين أما الحفظ من أهوال يوم القيامة فهو المراد بقوله « فوقاهم الله شر ذلك اليوم »(٤٩) .

ولقاهم نضرة قابلهم من التلقى وهو المقابلة بالعطاء ، قال الشيخ مخلوف فى ذلك « ولقاهم نضرة » أعطاهم حسنا وبهجة فى الوجوه(٥٠) .

وسرورا السرور ضد الحزن وهو الفرح أيضا المضاد للترح ، قال الفيروز آبادى « والسرور مأخوذ من السر لأن المراد ما يتكتم من الفرح وقد ورد فى القرآن على أوجه منها سرور أهل الدنيا بدنياهم « إنه كان فى أهله مسرورا » وسرور المطيعين بنعيم العقبى « وينقلب الى أهله مسرورا » وفيه تنبيه على أن سرور الآخرة يضاد سرور الدنيا(٥١) فهم اذن يقابلون بالعطاء الحسن وبهجة الوجوه الذى يسرهم ويفرحهم جعلنا الله منهم بمنه وكرمه .

وجزاهم الجزاء المكافئة المقابلة للعمل وقد يكون تفضلا من الله تعالى على عبده ويدل عليه قوله تعالى « جزاء من ربك عطاء حسابا » .

الباء حرف من حروف الجر له معان متعددة منها الاستعانة والتعدية والألصاف والسببية وأشار الى ذلك ابن مالك الفينة حيث قال :

---

(٤٩) التفسير الكبير للرازى ج ٣٠ ص٢٤٧ .
(٥٠) كلمات القرآن للشيخ مخلوف ص٣٩٦ .
(٥١) بصائر ذوى التمييز للفيروز آبادى ج ٣ ص٢٠٨ ، ٢٠٩ .

بالبـــاء أستعن وعـــد عوض ألصـــق
ومثل مع ومين وغسن بهـــا أنطق(٥٢)

صـــبروا الصـــــبر ضـــبط النفس وحبسها على ما تحب أو تكـــره هـــذا من مفهومه العـــام وهـــو من أخـــلاق الاســـلام العالية وآدابـــه السامية بـــه انتصر الاســـلام أول الأمـــر وبـــه ينتصر فى كـــل وقت غـــير أنـــه فى حـــال الحـــرب أشـــد منـــه فى حـــال السلم حـــث الاسلام على ذلك فى قـــوله تعالى « فاصبر كمـــا صـــبر أولـــوا العـــزم من الرســـل » ، وقـــوله « واصبروا إن الله مع الصابرين » ؛ فبالصبر يستطيع الانســـان تحقيق هدفـــه ، وبـــه ينجـــر من كـــل ضـــيق ، وبـــه تضـــبط الأعمـــال وتتقن . لذلك جعـــل الله الصـــبر أرفـــع الدرجات وأعطى عليه عظيـــم الثـــواب فقـــال « إنمـــا يوفى الصابرون أجرهـــم بغـــير حســـاب ويكفى الصـــابر جـــزاء أن اللـــه معـــه يعينـــه ويقـــويه ــ جعلنـــا الله من الصابرين .

حنة وحريرا الجنـــة فى اللغـــة البستان المملوء بأنواع الفواكه وسميت بذلك لأنهـــا تستر من بداخلها وهى فى عـــرف الشـــرع دار الرحمـــة والنعيـــم التى أعدهـــا الله للمؤمنين من عبـــاده قال تعالى « وسارعوا الى مغفـــرة من ربكم وجنـــة عرضها السموات والأرض أعـــدت للمتقين »(٥٣) ، أمـــا الحـــرير فهـــو الثيـــاب المعروفة المتخـــذة من دودة القـــز أو غـــير ذلك من ألـــوان الحـــرير التى يكسوها الله للمؤمنين فى الجنـــة .

---

(٥٢) شرح ابن عقيـــل ص ٢٥٩ .
(٥٣) سورة آل عمـــران آيـــة : ١٣٣ .

متكئين الاتكاء هو الجلوس على الأرائك جلسة الهانى المنعم يقول الشيخ محمد حجازى « وأجلسهم على الأرائك جلسة المتمكن الهادىء فارغ البال(٥٤) وهو حال من فى الجنة لا يشغله شاغل الا التنعم بما فى الجنة من حور عين ونعيم مقيم • والأرائك أماكن الجلوس المعدة لهم •

زمهريرا الزمهرير هو كما يقول الشيخ مخلوف « البرد الشديد أو القمر »(٥٥) ، وأرى أن المعنى الأول هو الارجح لأنه قول أكثر المفسرين ولعل الشيخ قصد المقابلة للشمس أو رجع الى لغة طى كما قال الرازى فى القول الثانى فى معنى الزمهرير « هو القمر فى لغة طى »(٥٦) والمعنى عليه لا يرون فيها شمساً ولا قمر وعلى الوجه وهو البرد الشديد لا يرون فيها حراً ولا برداً •

ودانية عليهم ظلالها دانية من الدنو وهو القرب والظلال جمع ظل ، والمعنى أن ظل الجنة قريب منهم يتمتعون به باستمرار •

وذللت قوفها ذللت سخرت ، والقطوف جمع قطف والقطف ما يقطف من الثمر والورق والزهور ، قال الأمام ابن كثير فى معناه « أى متى تعاطاه دنا القطف اليه وتدلى من أعلى عصنه كأنه سامع طائع »(٥٧) •

---

(٥٤) التفسير الواضح للشيخ محمد محمود حجازى جـ ٢٩ ص٨٣ •
(٥٥) كلمات القرآن للشيخ مخلوف ص٣٩٧ •
(٥٦) التفسير الكبير للرازى جـ ٣٠ ص ٣٤٨ •
(٥٧) تفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ ٤ ص٤٥٦ •

مخلدون من الخلد وهو القرط أى ولدان ألبسوا القرط ، أو من الخلود بمعنى البقاء على هيئة الولدان الصغار ليفرح بهم أهلهم ، قال الشيخ مخلوف « مبقون على هيئة الولدان فى البهاء »(٥٨) .

منثوراً النثر النشر والتبعثر لكن هذا نثر جميل منتظم قال السيوطى « إذا رأيتهم حسبتهم » لحسنهم وانتشارهم فى الخدمة « لؤلؤاً منثوراً » من سلكه أو من صرفه وهو أحسن منه فى غير ذلك(٥٩) .

عاليهم فوقهم من العلو والرفعة .

سندس حرير رقيق

استبرق ديباج غليظ ، قال النسفى « أى ما يعلوهم من ملابسهم « ثياب » « سندس » رقيق الديباج (خضر) جمع أخضر « واستبرق » غليظ(٦٠) وهذا كلام يفيد أن السندس رقيق الديباج والاستبرق غليظ الديباج ، أقول وهما من الألفاظ الداخلية على العربية لانها لغة فارس وعربت بالاستخدام وسياق الآية يقبل هذا المعنى .

وحلو أساور من التحلية وهى التحسين والتجميل الذى يضاف الى جمال الخلقة ، قال السيوطى « وحلو أساور من فضة » وفى موضع آخر من ذهب للأيذان بأنهم يحلون من النوعية معا ومفرقا(٦١) .

---

(٥٨) كلمات القرآن للشيخ مخلوف ص٣٩٧ .
(٥٩) تفسير الجلالين ج ٢ ص٢٣٥ .
(٦٠) تفسير جزء تبارك للنسفى ص٦٦ .
(٦١) تفسير الجلالين ج ٢ ص٢٣٥ .

طهـورا الشراب الطهـور هـو الشراب الطاهـر وهـذه مبالغة فى طهـر الشراب • قـال الامـام ابن كثـير كـلا ما يفيد أن الشراب جمـع الى الطهارة الحسية الطهارة المعنوية فقال « أى طهـر بواطنهم من الغـل والحسـد والحقد والأذى وسـائر الأخـلاق الرديئة(٦٢) •

سـعيكم السـعى المشى فى الأساس وأطلق على العمـل مجازاً لمـا فيـه من الحـركة ، قـال الله تعالى « فاسعوا الى ذكـر الله » وهـو هنـا بمعنى العمـل عـامة وخصص العمـل هنـا بالعمـل الصالح لأنـه شـكره ورضيه ، قال النسفى « وكـان سعيكم مشكورا » محمـودا مقبولا مرضيا عندنا حيث قلتـم للمسكين واليتيـم والأسـير لا نريـد منـكم جـزاء ولا شـكورا »(٦٣) •

بهـذا أكـون قـد وضحت معـانى المفـردات توضيحا متوسطا لاهـو بالموجـز المخـل ولا بالمطنب الممـل •

« إن الأبـرار » : ان واسمها وجمـلة يشربون من كأس خبرها •

« وكان مزاجها كافورا » : كان واسمها وخبرها وجملة كان صـفة لكـأس •

« عينـاً » : بـدل من كافـورا • « ويشرب بهـا عبـاد الله » صـفة لعين • والبـاء فى بهـا : بمعنى من أى يشرب منهـا أو هى للاستعانة اذا رجـع الضمير على الكـأس أى يشرب عباد الله بكـأس الخمـر الممـزوج بالكافـور •

---

(٦٢) تفسـير القـرآن العظيم ج ٤ ص٤٥٧ .

(٦٣) تفسـير النسفى جـزء تبارك ص٦٦ •

« يفجرونها تفجيرا » : يفجرونها جملة حالية من الفاعل ، وتفجيرا : مفعول مطلق مؤكد لعامله وهو منصوب .

« يوفون بالنذر » : جملة استئنافية مسوقة مساق التعليل للجزاء وهكذا جملة (يخافون يوما) ويجوز فيها العطف على ما سبق فتكون خبرا للأبرار ، وكذا (يخافون يوما) وجملة « كان شره مستطيرا » صفة ليوما وهو منصوب فهى فى محل نصب لأنها صفته . وجملة « ويطعمون الطعام على حبه » خبر بعد الأخبار السابقة للأبرار واختلف فى أنها فى « حبته » فقيل برجوعها الى الله ، وقيل برجوعها الى الطعام وكلاهما مقبول إعرابا ومعنى ، و « مسكينا » مفعول به ليطعمون ، وكذا « يتيماً وأسيراً » . وجملة : « إنما نطعمكم لوجه الله » : مقول قول محذوف أى قائلين انما نطعمكم ، والقول ومقوله حال من الفاعل وهو الأبرار بمعنى يطعم الابرار المساكين والبتامى والأسرى قائلين انما نطعمكم لوجه الله . وكذا جملة « إنا نخاف من ربنا » مقول القول لأنها من تمام كلام الابرار .

« فوقاهم الله » : الفاء حرف عطف وهى هنا سببية بمعنى أن وفاءهم بالنذر وخوفهم من الله تعالى واطعامهم الطعام كان سبباً لوقايتهم شر يوم القيامة ، وجملة « وجزاهم بما صبروا » معطوفة على فوقاهم الله وحكمها حكمها ، والباء فى « بما صبروا » سببية أى بسبب صبرهم جازاهم . أما قوله تعالى « متكئين فيها » فهى حل وكذا حلة . « لا يرون فيها شمساً » وجملة (ودانية) وجملة (وذللت) كلها أحوال ، وكذلك جملة « ويطاف عليهم بآنية » وجملة « ويسقون » وجملة « ويطوف عليهم ولدان » أحوال من الأبراد كائنة فى الجنة جعلنا الله من أهلها .

أمـا قـوله تعالى « حسبتهم لؤلؤاً منثـورا » فهى جـواب شـرط لقـوله إذا رأيتهـم والجملة الشرطية صفة للولدان ، والمعنى ولدان مخلدون يعجب بهـم من يراهـم لأنهـم فى جمالهم وبهـاء طلعتهـم كاللؤلؤ المنثـور ، وجمـلة « وإذا رأيت ثم رأيت نعيمـا » فهى جمـلة شرطية معترضة جيىء بهـا وسـط الكلام لتشـير الى وصـف الجنـة بصـورة مجمـلة تغنى عن التفصيل وكـأن الله تعـالى يضـم الى ما ذكـر من النعيـم المفصل لأهـل الجنة الابرار النعيـم البـاقى الذى لم يذكـره هنـا والمـلك الكبير الذى منـه هـذا النعيـم المقيـم .

أمـا جمـلة « عاليهم ثيـاب سندس خضـر » وجملة « وحـلو أسـاور من فضـة » فهمـا فى الغـالب أحـوال معطوفة على جمـل الأحـوال السابقة الذكـر ولم يأت بحـرف العطف فى جملة عاليهم للفصـل الذى وجـد بالجمـلة الأعتراضية فجـاءت كأنها استئناف كـلام جـديد ويرى النسفى رحمه الله تعـالى أن جملة « عاليهم » حـال من الولدان أن الولدان تعوهم ثيـاب السندس فيقول « عاليهم بالنصـب على أنـه حـال من الضمير فى « يطـوف عليهم ولدان » عاليه للطـوف عليهم ثيـاب وبالسكون مدنى وحمـزة على أنه مبتدأ خبـره « ثيـاب سندس » أى ما يعلوهم من ملابسهم ثياب سندس رقيق الديباج(٦٤) أقول وكلامه هنـا فيـه ابهـام لأن ثياب السندس يجـوز أن تعـلو الولدان وأن تعـلوا الأبرار فـان علت الولدان فعاليه صـفة للولدان وان علت الأبـرار فهى حـال منهم وكلا الوجهين مقبـول إعـرابا ومعنى .. والله أعـلم ، لكن يترجح عندى أنهـا حـال من الأبـرار بدليل قـوله تعـالى : « وحـلوا أسـاور ،

---

(٦٤) جـزء تبـارك للنسفى ص٦٦ .

وسقاهم ربهم » فهذا للأبرار وليس للولدان فالولدان لون من ألوان النعيم الكائن للأبرار فى الجنة . أما قوله تعالى « إن هذا كان لكم جزاء » فان واسمها ، وجملة « كان لكم جزاء » خبرها . وكان سعيكم مشورا ان واسمها وخبرها والواو هنا استئنافية لأنها تتعلق بالسعى وهو فى الدنيا وما قبله فى الآخرة .

ويلاحظ فى الآيات أن الله تعالى أخبر فى بعض الجزاء بصفة المضارع وذلك ليستحضر المسلم الصورة فى ذهنه وكأنها ماثلة أمامه تقريه بجمالها وتدعوه لمباشرة أسبابها ، وأخبر فى بعض الجزاء بصيغة الماضى وهو يعطى المسلم صورة الاطمئنان على الجزاء وكان هذا واقعا محققا لاشك فى حدوثه ولا عجب فتلك بلاغة القرآن التى تتدانى منها بلاغة العرب ولا تضاهيها كما يلاحظ فى الآيات أن النعيم المذكور هنا فيه تركيز على الشراب الكثير الخارج من الأرض والعيون بصورة متدفقة تنبىء عن قدرة المنعم سبحانه وتعالى وتشد أنظار المسلمين الى كرمه عز وجل كما أنها تركز أيضا على النبات والظلال وتلك أشياء كانت أماكن الوحى فى تطلع وتلهف اليها وكان سكان شبه الجزيرة العربية يتشوقون اليها ويتمنونها لابتعادها عن أرضهم ولما يرونه فيها من نعيم ومتعة لا تعدلها متعة وهذا إن دل على شىء فانما يدل على أن الله تعالى عالم بما فى قلوبهم وبما فى أرضهم وبالتالى يعلم كيف يدعوهم الى طاعته ويرغبهم فيها وهذا كله يشهد بشهادة صادقة بأن القرآن من لدن حكيم حميد .

هذه وقفة بسيطة حول ما تضمنته الآيات من ألوان الاعراب وبعض الأسرار البلاغية التى نحن معشر المتعلمين فى حاجة الى

معرفتها وتذوقها والوقوف عليها لنعلم ما عليه القرآن الكريم من جميل البيان ، وفصيح الكلام ، وبديع التظم ، وحسن العرض ، وتحقيق الهدف والغاية •• والله ولى التوفيق •

ويطيب لى أن أنقل كلمات للشهيد سيد قطب تدل دلالة صادقة على ما تحتويه هذه الآيات الكريمة من بلاغة وفصاحة إذ يقول رحمه الله تعالى وأثابه « تبدأ هذه المشاهد (يعنى التى ذكرت من أول السورة) بتقدمة عن الانسان الذى خلقه الله فجعله سميعاً بصيرا وهداه السبيل وترك له حرية الاختيار « إما شاكراً واما كافورا » ثم تنتهى بما ينتهى اليه الطريقان طريق الشكر وطريق الكفران وكأنما نحن نشهدها الآن على طريقة القرآن • فأما الكافرون فقد هيأ لهم « سلاسل وأغلالا وسعيرا » وذلك اجمالى لوسائل العذاب لا يزيد عليه هنا • بل يعمد الى صورة النعيم فيفصلها تفصيلا وقد وردت معظم مشاهد النعيم هذه من قبل ولكن التنويع فى عرضها والتفصيل فى جزئياتها وبيان أسمائها يجعلها من وجهه العرض الفنى جديدة • فالأبرار يشربون من كأس كانت توصف من قبل بأنها « لا لغو فيها ولا تأثيم » أو أنهم « لا يصدعون عنها ولا ينزفون » ولكننا لم نكن نعلم ماهيتها ونوعها • ومرة واحدة عرفنا أنها من « تسنيم » فالآن نعرف لونا آخر من الشراب فهذه الكأس كان « مزاجها كافورا » مرة « وكان مزاجها زنجبيلا » مرة فالكأس اذن متعددة الموارد وإن اشتركت فى الصفات العامة من حيث أثرها فى شاربيها • وفى أثناء السياق يأتى ذكر عباد الله الذين يشربون من هذه الكأس فيستطرد السياق فى تعداد أوصافهم فهم قوم يطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيماً وأسيرا وهم قوم يفعلون الخير

لوجه الله تعالى لا يريدون من الناس جزاء ولا شكورا وهم قوم يخافون الله ويخشون يوما عبوسا قمطريرا هو ذلك اليوم الذى نحن فيه • وقد وقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا وجنة وحريرا • فلنشهدهم الآن فى جلستهم المريحة المعهودة « ومتكئين فيها على الأرائك » ولكن لنشهد حالة لم تعرض من قبل أو عرضت بغير هذه الصيغة ولا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا ؛ وقد عرفنا من قبل أن هنالك ظلا ظليلا وعرفنا مرة أكلها دائم وظلها فلنشهد الآن هذا المشهد الفريد « لا يقرون فيها شمساً ولا زمهريرا » ويكمل المشهد « ودانية عليهم ظلالها ، وذللت قطوفها تذليلا » ثم نشهد الطواف عليهم بالأكواب ولكننا نشهد قوارير من فضة فهى فضة شفة إذن لا تجوب ما بداخلها وتلك نهاية الابداع فى الصنعة ونهاية الرفاهية فى النعيم • ثم لنشهد الغلمان انهم مخلدون لا يفعل فيهم الزمن ولا تؤثر فيهم السن وإنهم لفى نضارة وبهجة « إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثورا » ثم يمد السياق بأبصارنا الى المشهد كله والى ما وراء هذه الجزئيات • فاذا هنالك حيثما اتجه نعيم عظيم وملك كبير ومنعمون تعلوهم ثياب من السندس والاستبرق وحلى من الفضة وهم يشربون شرابا طهورا يزيد من قيمته أن ربهم هو الذى سقاهم اياه • وعند هذه النظرة الشاملة تسمع القرار الشامل « إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا »(٦٥) •

فهذا تصوير بليغ رائع يأسر القلوب ويأخذ بالألباب ولا عجب فهو من أديب له قدره فى عالم الأدباء • وعالم

---

(٦٥) مشاهد القيامة فى القرآن للاستاذ سيد قطب ص٢١٨ ، ٢١٩ .

راسخ الشدم وثابت الجنان فى عالم العلماء وشهيد بطل من أنبل الشهداء رحمه الله تعالى ونفعه بما قدم للاسلام من خدمات وتضحيات • والآن هيا بنا الى :

« المعنى الاجمالى للآيات »

فى هذه الآيات الكريمات بين الله تعالى ما أعده للأبرار تفضلا منه ورحمة وجزاء على أعمالهم التى قدموها زلفى الى الله وقربى اليه سبحانه فذكر أنه سيدخلهم الجنة وفيها سيشربون من كأس كان مزاجها كافورا وهى عين لا يشرب منها إلا عباد الله الذين عرفوه حق المعرفة وأخلصوا العبادة له حق الأخلاص وكانوا فى حياتهم كالنحال وسط الزهور والثمار ، تحصل الطيب منها وتأتى بالشهد لغيرها • ولهؤلاء العباد أوصاف جميلة وسمات طيبة وهى أنهم يوفون بالعهود ويؤدون النذور خوفا من ربهم وخوفا من عذاب سعير وشر مستطير ينتظر الناكثين لعهودهم والبخلاء بنذورهم • فالوفاء سمتهم والخوف من الله يعمر قلوبهم • ثم إنهم محسنون للضعفاء من عباد الله فيطعمون الطعام عى حبه مسكينا ويتيماً وأسيرا عطفا عليهم وبراً بهم مع حاجتهم الى الطعام وحبهم له قائلين كلاما يدل على علو همتهم ورفعة قصرهم وعفة نفوسهم وهو ما حكاه الله تعالى عنهم مبينا ماهم عليه من دماثة الخلق ورقة الاحساس ونبل المشاعر فقال سبحانه **« إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا »** لكننا قدمنا ما قدمنا من الأحسان لكم والعطف عليكم والبر بكم ما يدفع عنا عذاب يوم جعله الله على من نقض عهده وكفر بدينه عبوسا قمطريرا ، ولما كان هذا هدفهم وذلك شأنهم كافأهم الله فأخبر أنه سيرحمهم وسيقيهم شر ذلك اليوم وأنهم

سيلقون نضـــرة وسرورا وسيجازون بمـــا صبروا جنـــة وحـــريرا هـــذه الجنـــة يجلسون فيهـــا متكئين هـــادئين هانئين لا يرون فيهـــا شمســـاً تلفحهـــم بحرهـــا ، ولا زمهريرا يرعـــد أجسامهم بشـــرده وتدنوا منهـــم إكراما لهـــم واعترافاً بجميلهم ثمـــار الجنة وقطوفها مذللة مســـخرة من قبـــل خالقهـــا • ثم يطـــوف ولدان بآنية جميـــلة من معـــادن نفيســـة هى الذهب والفضـــة هـــذه الآنيـــة يسقون فيها خمـــرا كـــان مزاجـــه وخليطه الزنجبيل فهـــو شـــراب هنىء من عين تسمى عين السلسبيل ويضـــم الى هنـــاءه الشـــراب هنـــاءه الجمال الكـــائن فى الولدان المخلدون بالقـــرط وبالبقاء الذى لا يعقبـــه فنـــاء إذا رآهـــم أهـــل الجنـــة حسبوهم لؤلـــؤاً منثـــورا وكـــل ما يـــراه المؤمنون فى الجنـــة ماهـــو الا نعيـــم مقيـــم ومـــلك كبـــير وإذا كان ما يـــراه أهـــل الجنـــة كلـــه جميـــل فـــلا أقـــل من أن يكونوا هـــم على جـــانب أكبـــر من الجمـــال لذلك حلاهـــم الله تعـــالى بثيـــاب السندس والاستبرق والأســـاور الفضية وجعلهم معنوياً فسقاهم شرابا تطهـــر بـــه قلوبهم وتصفوا بـــه نفوسهم كـــل هـــذا جـــزاء لسعيهم المشـــكور ، إن هـــذا كـــان لـــكم جـــزاء وكـــان سعيكم مشـــكورا • نسألك اللهـــم من عميـــم فضلك وجميل احسانك أن تجمعنا بالتقـــوى وتحلينـــا بالاخلاص وتهذبنـــا من كل ســـوء وتجمعنـــا مع المنعـــم عليهـــم من النبيين والصديقين والشـــهداء والصالحين وحســـن أولئك رفيقـــاً •

وبعـــد أن بينت المعنى الاجمـــالى للآيات أرى أن هناك نقطـــة جـــديرة بالمناقشة والتحقيق وذلك لخـــلاف العلمـــاء فيهـــا وهى :

« ســـبب نزول قـــوله تعـــالى يوفـــون بالنـــذر ••• الآيـــة »

اشـــتهر على ألســـنة النـــاس عـــامة وبعض العلمـــاء خاصـــة أن الآيـــة نزلت فى على وفاطمة حين نـــذرا الصـــيام لله تعالى ثلاثة

أيام إن شفى الله الحسن والحسين وكانا مريضين ، وهذه الرواية جاءت فى تفسير النسفى وتفسير الكشاف ورواه الواحدى فى أسباب النزول ، ومعروف لدى الباحثين فى التفسير والحديث أن هذه الكتب لا تخلوا من الروايات الضعيفة والموضوعة وفيها من هذين اللونين الشىء الكثير لكن كتب الحفاظ التقنين لم تشر مجرد إشارة الى هذه الرواية وعلى رأس الحفظة الأمام الحافظ ابن كثير قد خلا تفسيره من هذه الرواية جهابذة النقاد والعارفون بأحوال الرواية قبولا ورد وصحة وضعفا فالسيوطى لم يروها فى أسباب النزول له وأشار الى ضعفه فى اللآلىء يقول الأستاذ الدكتور أبو شهبة « وقد أخرج هذا الخبر معظم المفسرين ويكاد لم يسلم منه تفسير حتى إن الحافظ السيوطى ذكره فى الدر مع أنه وافق على ضعفه فى اللآلىء وقد نبه على وصفه الحكيم الترمذى والحافظ ابن الجوزى وابن حجر فى التخريج وقال آثار الوضع لائحة عليه لفظاً ومعنى ، فبناء على بفاطمة كان بالمدينة فى السنة الثانية مع أن السورة مكية كما روى ابن عباس والجمهور فليس من المعقول أن يكون هذا هو السبب(٦٦) وبالرجوع الى التفسير الكبير للرازى تبين من خلال كلامه أنه لا يكترث بهذا السبب بل لم يذكره أساساً ولكنه أشار الى قائليه ثم كر عليه بالرد الذى يضعف كونه سببا للآية ذلك ما لمسنه فى كلامه إذ يقول رحمه الله وأثابه « إن الأبرار يشربون » وهذه صيغة جمع فتتناول جميع الشاكرين والأبرار ومثل هذا لا يمكن تخصيصه بالشخص الواحد ، لأن نظم السورة من أولها الى هذا الموضع

---

(٦٦) الاسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير ، د. أبو شهبة ص٣٢٨ ، ٣٢٩ .

يقتضى أن يكون هذا بياناً لحال كل من كان من الأبرار والمطيعين فلو جعلنا مختصا بشخص واحد لفسد نظم السورة ، والثانى أن الموصوفين بهذه الصفات مذكورون بصيغة الجمع كقوله « إن الأبرار يشربون ويوفون بالنذر ، ويخافون ، ويطعمون » وهكذا الى آخر الآيات فتخصيصه بجمع معينين خلاف الظاهر ولا ينكر دخول على بن أبى طالب عليه السلام فيه • ولكنه أيضاً داخل فى جميع الآيات الدالة على شرح أحوال المطيعين • فكما أنه داخل فيها فكذا غيره من أتقياء الصحابة والتابعين داخل فيها فحينئذ لا يبقى للتخصيص معنى البتة • اللهم الا أن يقال السورة نزلت عند صدور طاعة مخصوص عنه • ولكنه قد ثبت فى أصول الفقه أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب(٦٧) بهذا يتضح لنا أن الآية عامة وأن الحادثة المذكورة ليست سببا لنزول الآية وأن هذا السبب من الأسباب الموضوعة ولو كان من الأسباب الصحيحة لما أهمله الامام ابن كثير وهو الحافظ الناقد فى تفسيره • ومن هنا ••

أقول لكل باحث فى القرآن الكريم عليك بالتحرى والضبط فى نقل أسباب النزول ففيها الموضوع والضعيف والصحيح وكن على بينة من أمرك أرشدنا الله وإياك الى كل صواب •

وبعد مناقشة السبب أريد بيان النتيجة المأخوذة من الآيات •

ما يستفاد من الآيات :

١ — أن الأبرار هم أهل الجنة الذين يتمتعون بنعيمها •

---

(٦٧) التفسير الكبير للرازى جـ ٣٠ ص٢٤٤ .

٢ ــ الأبــرار هــم من وصفهم الله تعــالى بالوفــاء بالنــذور ، والخــوف من الله تعــالى ، ويطعمون الطعــام للمحتاجين اليه ، ويتميزون بالأيثــار •

٣ ــ أن الله يجــازى كــل عبــد بمــا يستحق إن خــيرا فخــير ، وإن شــرا فشــر •

« من توجيهــات القــرآن الكــريم »

لمــا كانت السورة قــد تكلمت عن خــلق الأنسان وإنعــام الله عليــه بالهــداية وأن الانسان منــه الشــاكر المجازى بالجنــة ومنــه الكافــر المجازى بالنــار • كــان من المناسب أن يوجــه الله تعــالى نبيــه والمسلمين الى ما ينفعهــم فى دينهــم ودنيــهم فقال سبحانه : **« إنــا نحن نزلنــا عليــك القــرآن تنزيلا (٢٣) فاصــبر لحكم ربك ولا تطــع منهــم آثمــاً أو كفــوراً (٢٤) واذكــر اسـم ربك بكــرة وأصــيلا (٢٥) ومن الليــل فاسجد لــه وسبحه ليــلا طويلا (٢٦) »** •

اللغــة ومعــانى المفــردات :

نزلنـــا التنزيل الوحى وســمى تنزيلا لنــزول جبــريل بــه على النبى ﷺ من الســماء من بييت العــزة وهــو مكان مرتفع فى سماء الدنيــا • قال الزمخشرى « مجــاز تكرير الضمير بعــد إيقــاعه اســماً لأن تأكيد على تأكيد لمعنى اختصاص الله بالتنزيل ليتقرر فى نفس رســول الله ﷺ أيــه إذا كان هــو المنــزل لم يكن تنزيله على أى وجــه نــزل الا حكمه وصوابا كــأنه قيــل ما نزل عليــك القــرآن تنزيلا مفرقاً منجمــا إلا أنــا لا غــيرى وقــد عرفتنى حكيما فاعــلا لــكل ما أفعــله بدواعى الحكمــة ولقــد دعتنى حكمــة

بالغة الى أن أنزل عليك الأمر بالمكافئة والمصابرة وسأنزل عليك الأمر بالقتال والانتقام بعد حين(٦٨) .

لحكم ربك الحكم القضاء والفصل والأمر وقد وردت هذه المعانى فى القرآن الكريم ، والمراد بالحكم فى هذه الآية الأمر بشيء جديد فالله يأمر نبيه ﷺ بالصبر والانتظار حتى يأتى أمر من الله تعالى بشيء آخر وهو (الجهاد) الذى جاء الأمر به بعد ذلك .

بكرة من البكور وهو وقت الصباح .

وأصيلا هو وقت ذهاب وغروب الشمس آخر النهار ، والمراد هنا ذكر الله على الدوام ليلا ونهاراً ، قال الشيخ عبد القادر المغربى « واذكر اسم ربك » فصل له واعبده « بكرة » قبل الظهر « وأصيلا » عشيا بعد العصر(٦٩) .

سبحه التسبيح وصف الله بكل كمال يليق بذاته العلية وتنزيهه عن كل مالا يليق بذاته سبحانه ويقال فى معنى (سبوح قدوس) المنزه عن كل نقص والموصوف بكل كمال يليق بجلاله عز اسمه .

هذه ببساطة معانى المفردات ، أما اعراب الآيات فهو :

إنا مبتدأ ، ونحن مبتدأ ثانى ، ونزلنا عليك القرآن خبر المبتدأ الثانى والمبتدأ الثانى وخبره خبر المبتدأ الأول ، وتنزيلا مفعول مطلق مؤكد لعامله وهو نزلنا .

فاصبر الفاء سببية والمعنى مادمنا قد أنزلنا عليك القرآن

---

(٦٨) تفسير الكشاف للزمخشرى ج ٤ ص١٧١ .

(٦٩) تفسير جزء تبارك للشيخ عبد القادر المغربى ص١٢٣ .

وهـو كتاب يحتـاج الى صـبر فى حفظه وتلاوته وتبليغه فاصـبر ، واصـبر فعـل أمـر مبنى على السكون والفاعل مسـتتر تقـديره أنت يعـود على الرسـول ﷺ وكل مخاطب تبـع لـه • ولحـكم ربك جـار ومجـرور فى محل نصب مفعول بـه والـلام فى لحـكم تعليلة ، أى أصـبر لأن هـذا حـكم الله أو هى معنى حتى ، أى أصـبر حتى يحـكم الله أو بمعنى الى أن يحـكم الله • أو هى معللة للصبر نفسه والمعنى للحـكم عليـك بالصبر أصـبر ، وكل هـذه معـانى مقبولة لغـة وإعـراباً •• والله أعـلم •

ولا تطع الـواو عاطفـة • ولا ناهيـة • وتطـع فعـل مضـارع مجـزوم بلا الناهية • منهـم جـار ومجـرور متعـلق بتطـع ومن هنـا بيانية • وآثمـاً مفعول بـه لتطـع •

و أو حـرف عطف • وكفـورا معطوف على • آثمـا وهـو منصوب مثـله • والمعنى لا تطـع آثمـاً أو كفورا من الكافرين • واذكـر فعـل أمـر ، اسم مفعول بـه منصوب ، ربـك مضـاف اليـه مجرور بالأضافة لاسـم • بكـرة وأصيلا مفعـول فيـه ظـرف زمـان لا ذكـر • ومن الليل الواو عاطفـة ومن تبعيضية جـاره والليـل مجرور بمن وهـو مفعـول فيـه مقـدم لـ (فاسجد) وهـو فعل أمـر والمعنى فاسجد من الليـل أى صـل ليـلا ولـه جـار ومجـرور وهـو مفعول لأجـله أى أسـجد لله تعـالى جـزء من الليـل • وسـبحه فعـل وفاعل ومفعول بـه ، والجمـلة معطوفة على سابقتها وليـلا ظرف زمان للتسبيح وطـويلا صـفة لليـل منصـوبة •

وبعـد أن بينت معـانى المفـردات والاعراب أريـد بيان المعنى الأجمـالى للآيـات •

المعنى الاجمالى للآيات

يخبر الله تعالى نبيه ﷺ أنه هو وحده بما له من العزة والجلال والقوة والسلطان والعلم والحكمة الذى أنزل القرآن تنزيلا منجماً مفرقا لما فيه ذلك من الحكم التى لا يتوصل إليها جميعها الا الله تعالى وان توصل العباد الى بعضها بتوفيق الله لهم . وأن هذا القرآن كتاب قيم ومنهج مستقيم جاء لينقض كل فاسد ، وليبطل كل باطل ، وليقاوم كل منكر من القول وزور . وأصحاب الباطل بباطلهم متمسكون وبه متشبثون لا يرغبون عنه فكاكا . ولا يرضون بسواه بديلا . فالأمر إذن فى حاجة الى صبر طويل فى التبليغ مرة بعد مرة ويوما بعد يوم ، وفى تحمل أذى أهل الباطل وذلك لمعالجتهم والأخذ بأيديهم الى سبيل النجاه فاصبر لحكم ربك هذا ودم عليه ليلا ونهار وبينه للناس فى كل مكان سراً وجهارا ولا تطع من الكفار آثماً مقيما على اثمه مصرا على ذنبه أو كفور جاحداً بربه منكرا لألوهيته ظانا بك أنك ممن يريدون الدنيا ويرغبون فيها فجاء ليقربك بشىء من متاعها فتياك اياك أن تسمع لكلامهم أو تقبل عرضاً منهم وكن دائما ذاكرا لله تعالى فى ليلك ونهارك ، وسرك وجهارك وغدوك ورواحك ؛ ومن الليل فاسجد لله وسبحه ليلا طويلا وضم الى ذكر الله تعالى تنزيهه المطلق عن كل مالا يليق به ولا يصح أن ينسب اليه من شريك مدعى ، أو ولد مصطفى أو زوجة جميلة ؛ سبحانه أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ؟ سبحانه ليس كمثله شىء وهو السميع البصير .

ما يستفاد من الآيات :

١ — أن القرآن كتاب الله تعالى وهو كلامه وحده لا يشاركه

فيه أحد ولو بحرف من كلمة وهو ما يفهم من قوله تعالى « إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا » .

٢ ــ للصبر أثره وفائدته فى تبليغ دعوة الله تعالى وفى اتقانها قولا وفعلا .

٣ ــ المداومة على ذكر الله تعالى فى كل الأوقات والاحوال .

٤ ــ أن الله موصوف بكل الكمالات اللائقة به ومنزه عن كل النقائص . ويجب على المسلم أن يستقر ذلك فى قلبه .

« حب الكافرين للدنيا »

بعد أن وجه الله تعالى نبيه الى الصبر على أداء رسالته وأرشده الى المداومة على ذكره ذكر له وصفاً بارزاً من أوصاف الكافرين فقال سبحانه وتعالى **« إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا (٢٧) نحن خلقناهم وشددنا أسرهم وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا (٢٨) »** .

اللغة ومعانى المفردات :

يحبون الحب معناه الميل العاطفى وهؤلاء يميلون ميلا كاملا للدنيا بما يجعلهم ينشغلون بها عن كل ما سواها .

العاجلة إسم من أسماء الدنيا وسميت به لسبقها على الآخرة .

ويذرون يتركون ومنه قوله تعالى « فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث » .

وشددنا أسرهم قوينا جمعهم ، وقال الشيخ مخلوف أحكمنا خلقهم(٧٠) والأحكام القوة فى الشىء .

---

(٧٠) كلمات القرآن للشيخ مخلوف ص٣٩٨ .

بدلنا أمثالهم غيرنا أمثالهم أو غيرناهم ، قال ابن كثير « وإذا شيئنا أتينا بقوم اخرين غيرهم »(٧١) .

هذه هى المفردات التى تحتاج الى توضيح أما اعراب الآيات فهو :

إن حرف توكيد ونصب . وهؤلاء اسمها مبنى على الكسر فى محل نصب اسم إن . وجملة يحبون العاجلة خبر فى محل رفع وهى جملة فعلية ، ومثلها جملة « ويذرون وراءهم يوما » و ثقيلا صفة ليوما ، نحن مبتدأ مبنى على الضم فى محل رفع . وخلقناهم جملة فعلية خبر لنحن . وشددنا أسرهم معطوفة على خلقناهم وهى جملة فعلية أيضا وخبر لنحن . وإذا شرطية وشئنا فعل الشرط ومفعوله محذوف تقديره التبديل . وبدلنا جواب الشرط وأمثالهم مفعول به وتبديلا مفعول مطلق مؤكد لعامله . هذا هو إعراب الآيات فى صورة موجزة مبسطة ولنقف على المعنى العام .

« المعنى العام »

فى هاتين الآيتين بين الله تعالى شأن الكافرين فذكر أنهم على جانب كبير من اللهو والغفلة وذلك لأنهم مقبلون على الدنيا بكل طاقاتهم وامكانياتهم يحبونها حباً جما ويأكلون تراثها أكلا لما حملهم على ذلك نظرتهم القاصرة وعقليتهم اللاهية وتفكيرهم الساذج الطفولى الذى يؤمن بما يرى ويشاهد من مادية عاجلة ولذة قريبة موجودة فى الدنيا ويذرون خلف ظهورهم

---

(٧١) تفسير القرآن العظيم للامام ابن كثير جـ ٤ ص٤٥٨ .

الآخـرة وما فيهـا من عـذاب أليـم فى يـوم عسـير عليهم غـير يسـير كمـا قـال تعالى « ويذرون وراءهم يومـاً ثقيلا » • ثم يخبر الله خـيرا يحمـل فى طياته ومفهومه حثهم على الرجـوع الى الصواب والآيبـة من تلك الغفـلة التى يعيشون فيهـا الى المعـرفة الحقـة بالله تعـالى فقـال « نحن خلقنـاهم » وأحسـنا خلقهم وأتقيـا ضعفهم « وإذا شـئنا » أردنـا « بدلنـا » غيرنا ، (أمثالهـم) أو غيرناهم (تبديلا) لا يماثله تبـديل ذلك أنـه سبحانه يذهب بهـم دوتاً وهلاكـا لهـم ثم يعمـر الدنيـا بقـوم آخـرين يؤمنون بـه ويقـرون بوحدانيته • والآيـة تتضمن تهـديد الكفـار إن لم يؤمنوا بالهـلاك والبـوار ، كمـا تتضمن اقـامة الدليـل على قـدرة الله تعـالى على البعث لهـم وحسابهم فـاذا كان سبحانه قـد خلقهـم وهـم يعلمون ذلك بالمشـاهدة والعيـان فى أنفسهم وفى غيرهم فهـو قـادر لا محـالة على إعـادة هـذا الخلق مـرة أخـرى بعـد المـوت للبعث والحسـاب وذلك على الله يسـير وقدرته بالغة وقوته قاهـرة لا يعجزها شىء فى الأرض ولا فى السـماء • وليس ذلك فقط بـل هـو سبحانه قـادر على اهلاكهم بالعـذاب والاستئصال قبـل اتيـان آجالهـم « إن يشـأ يذهبكم ويأت بخـلق جـديد وما ذلك على الله بعـزيز » •

ويستفاد من الآيات مايأتى :

١ ـ إن حب الدنيـا وكراهية الآخـرة دأب الكافرين ومادام هـذا دأبهـم فـلا يصـح لأحد أن يكـون مثلهـم •

٢ ـ قـدرة الله تعـالى على الخـلق والايجـاد والبعث والحساب •

الخضـوع لمشـيئة الله تعـالى

بعـد أن بين الله حـال الأنسان الكافـر وأنه محـب للعاجلة

مبغض للآخرة وغافل عنها بين أنه سبحانه إنما أخبر بذلك تذكيرا لنا فقال « **إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا (٢٩) وما تشاؤن الا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما (٣٠) يدخل من يشاء فى رحمته والظالمين أعد لهم عذابا أليما (٣١)** » .

اللغة ومعانى المفردات :

تذكرة التذكرة الموعظة والاعتبار الدالة على ما فى الشىء المذكر به من خير أو شر ويراد منها الأقبال على الفعل إن كان خيرا والابتعاد عنه ان كان شرا ، وقد جاء بهذا المعنى التنزيل المبارك ، قال تعالى : « **إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد** » وهذا المعنى ذكره العلماء فى كتبهم

قال الشيخ أبو عبد الله الأنصارى « والتذكر فوق التفكر لأن التفكر طلب والتذكر وجود ، يعنى أن التفكر التماس الغايات من مبادئها وقوله التذكر وجود لأنه يكون فيما قد حصل بالتفكر ثم غاب عنه بالسياق فاذا تذكره وجده »(٧٢) .

وقال الامام ابن كثير « إن هذه تذكرة أى يتذكر بها أولوا الألباب »(٧٣) .

شاء من المشيئة وهى الأرادة ومعناها هنا أراد واختار طريقا معينا ، قال ابن كثير « أى من شاء اهتدى

---

(٧٢) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادى ج ٢ ص٣٢٠ .

(٧٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٤ ص٤٣٨ .

بالقـرآن »(٧٤) ، لكن الله تعـالى قيـد مشيئة العبـد بمشيئته فقـال « وما تشاؤن إلا أن يشـاء الله » حتى لا يقـع فى مـلك الله تعـالى مـالا يريـد وليس فى ذلك التقييد جبـر للعبد قـط فمشيئة الله تعـالى علمت سابقا وأزلا ما يختـاره العبـد لنفسه فوفقته لمـا اختار وقـد أطـال الكلام فى هـذه المسـألة الفخـر الـرازى فناقش ورد علا المعتزلة والجبرية لكن الأمـام ابن كـير بين ذلك فى اختصـار مفيـد فقـال « وما تشاؤن الا أن يشـاء الله » أى لا يقـدر أحـد أن يهـدى نفسـه ولا يدخل فى الأيمـان ولا يجـر لنفسه نفعـاً « إلا أن يشـاء الله إن الله عليمـا حكيمـاً » أى عليـم بمن يستحق الهـداية فييسرها لـه ويقيض لـه أسبابها ومن يستحق الغـوايز فيصرفـه عن الهـدى ولـه الحكمـة البالغة والحجـة الدامغـة(٧٥) •

رحمتـه المـراد بالرحمة فى الأساس رقـة القلب التى تستدعى فعل الخـير مع من يرحمه وهى صـفة وصـف الله بهـا نفسه فهـو الرحمن الرحيـم لكن استخدمت فى معـانى أخـرى منهـا النبـوة كمـا فى قـوله تعالى « أهـم يقسمون رحمـة ربك » ، واستخدمت فيمـا جـاء بـه الرسول من رسـالة كمـا فى قـوله تعـالى « وما أرسلناك إلا رحمـة للعالمين » • وهى هنـا بمعنى الجنـة لأن مقابلها العـذاب الأليـم المعـد للكافرين والظالمين فى النـار • قال الفخـر

---

(٧٤) نفس المرجـع والجـزء ص٤٥٨ .
(٧٥) نفس المرجـع والجـزء والصفحة .

الرازى « إن فسرنا الرحمة بالأيمان فالآية صريحة فى أن الايمان من الله ، وان فسرناها بالجنة كان دخول الجنة بسبب مشيئة الله وفضله وإحسانه لا بسبب الاستحقاق »(٧٦) ، والشاهد أنه فسر الرحمة بالجنة وهو الموافق للسياق .. والله أعلم .

والظالمين الظالم المتعدى الجائر على نفسه أو غيره بلون من ألوان الظلم وأعظم الظلم الشرك « إن الشرك لظلم عظيم » .

بهذا أكون قد بينت معانى المفردات الموجودة بالآيات . أما الأعراب فهو مايأتى :

إن حرف توكيد ونصب ، وهذه اسمها مرتكزة خبرها . و فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا شرط وجواب ومفعول شاء محذوف تقدير . الهداية أى فمن شاء الهداية . اتخذ الى ربه سبيلا أو الغواية وهو المعنى المقابل وعليه يكون المعنى ومن شاء الغواية لم يتخذ الى ربه سبيلا . وقوله « وما تشاؤن الا أن يشاء الله » ما نافية وتشاؤن فعل وفاعل والمفعول محذوف تقديره شيئا وإلا أداه استثناء ملغاه لسبق ما النافية عليها و أن يشاء الله جملة فى محل نصب على الظرفية أى وقت مشيئة الله ، وقد طرحه الرازى على طريقة السؤال والجواب فقال ما الظرفية وأصله إلا وقت مشيئة الله(٧٧) ، وقوله تعالى « يدخل من يشاء فى رحمته » جملة فعلية مستأنفة والفعل يدخل مضارع مبنى للمفعول من نائب فاعل مبنى على السكون

---

(٧٦) التفسير الكبير للفخر الرازى ج ٣٠ ص٢٦٣ .
(٧٧) نفس المرجع والجزء ص٢٦٢ .

فى محل رفع وهو اسم موصول صلته يشاء ادخاله وهو المفعول المحذوف ليشاء . والظالمين اختلف فى مجيئه منصوبا فقال الزجاج كما حكاه الفخر الرازى « نصب الظالمين لأن قبله منصوبا والمعنى يدخل من يشاء فى رحمته ويعذب الظالمين(٧٨) ر قول إن العلة التى ذكرها الزجاج وهى قوله لأن ما قبله منصوبا ليست بشيء ولو قال نصب على المفعولية للفعل المحذوف يعذب لكان أفضل وأجمل . وأرى أنه مفعول به مقدم لأعد والمعنى وأعد الله للظالمين عذابا أليما . وعلى أى حال فالمعنى والأعراب مقبولان ، وأعد فعل ماض فاعله لفظ الجلالة المفهوم من السياق فى الآية والمذكور جراحة فى الآية التى قبلها « إن الله كان عليما حكيما » . ولهم جار ومجرور متعلق بأعد عذابا مفعول به لأعد وهو المفعول الثانى لها . وأليماً صفة لعذاب منصوبا بالفتحة الظاهرة .. وبهذا يكون الأعراب قد انتهى والحمد لله رب العالمين .

المعنى الأجمالى للآيات

بين الله تعالى أن هذه السورة بما فيها من حديث عن الأنسان وما فيها من ترغيب فى الجنة وترهيب من النار هى كالتذكرة والاتعاظ فمن شاء اتعظ بها وعمل بما فيها ومن شاء ضل وغوى ، والعبد مهما شاء ورغب فلا توفيق له ولا سداد له إلا بتوفيق الله ومشيئته فالتوفيق من الله تعالى وهو الحكيم العليم بما يصلح عباده ، وكما أن التوفيق للعمل إنما يكون بمشيئة الله تعالى وهذا فى الدنيا فكذلك الجزاء فى الآخرة فمن شاء الله اكرامه أكرمه بدخول جنته

---

(٧٨) التفسير الكبير للفخر الرازى ج ٣٠ ص٢٦٣ .

ينعم فيها بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ومن شاء الله اهانته كان من الظالمين الذين أعد الله لهم عذاب أليماً . نسأل الله تعالى أن يجعلنا من المكرمين لا من الظالمين وأن يجعلنا من المنعمين لا من المعذبين إنه نعم المولى ونعم النصير ..

ما يستفاد من الآيات :

١ — إشتمال القرآن الكريم على كل خير للانسان من الموعظة والتذكير .

٢ — أن كل شيء بمشيئة الله تعالى فى الدنيا والآخرة .

٣ — أن كل ما يقع فى الكون إنما يكون بعلم الله وحكمته .

٤ — سوء مصير الكافرين والعصاه وحسن مصير المؤمنين .

هذا وبالله التوفيق ،،

الخاتمـــــة

وفى الختـــام أقـــول هـــذه ســـورة الأنسان ببيانها القـــرآنى الكامل وبأسلوبها البليـــغ الفصيح كمـــا ذكرها الله تعـــالى كـــاملة تامـــة • تعرضت لهـــا بالشـــرح والتفصيل المبسط الذى لا يســـلم من الخطـــأ شـــأنه كشـــأن أى عمـــل بشرى فـــان كنت قـــد أصـــبت الحقيقة والصـــواب فهـــذا من فضـــل الله تعالى ، وإن كنت قـــد ابتعدت عن الصـــواب فى شىء فهـــذه طبيعتى كبشر غـــير معصـــوم وحسبى أنى قـــد نويت الحق وحـــده وعملت على الوصـــول اليـــه فاستعنت بالله تعـــالى ثم بمـــا كتبـــه السابقون من أهـــل هذا العـــلم الشريف ولا وســـيلة غـــير ذلك ، وما توفيقى الا بالله عليـــه توكلت وإليـــه أنيب •

ثبت المراجع

١ ــ القرآن الكريم — جل منزله

٢ ــ بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز — للفيروز آبادى

٣ ــ فتح العلى المالك فى تفسير جزء تبارك — أ.د. على محمد نصر

٤ ــ الاتقان فى علوم القرآن — للسيوطى

٥ ــ تنوير المقياس — لابن عباس

٦ ــ حروف المعانى وعلاقتها بالحكم الشرعى — أ.د. دياب عبد الجواد

٧ ــ التفسير الكبير — للشيخ/ الفخر الرازى

٨ ــ تفسير الجلالين — للمحلى والسيوطى

٩ ــ العمدة فى غريب القرآن — لأبى محمد القيس

١٠ــ كلمات القرآن — للشيخ مخلوف

١١ــ الكشاف — للزمخشرى

١٢ــ تفسير النسفى — للامام النسفى

١٣ــ لسان العرب — لابن منظور

١٤ــ البرهان فى علوم القرآن — للزركشى

١٥ــ جزء تبارك — للشيخ عبد القادر المغربى

١٦ــ مختار الصحاح — للرازى

١٧ــ مشاهد القيامة — للشيخ سيد قطب

١٨ــ التسهيل لعلوم التنزيل — لابن جزى الكلبى

١٩ــ الشمائل النبوية للترمذى
٢٠ــ الجامع الصغير للسيوطى
٢١ــ زاد المعاد لابن القيم
٢٢ــ الثمر الدانى فى تقريب المعانى للشيخ صالح الأبى
٢٣ــ الموطأ للامام مالك
٢٤ــ مسند الأمام الشافعى للامام الشافعى
٢٥ــ أحكام القرآن لابن عربى
٢٦ــ الفتاوى للشيخ شلتوت
٢٧ــ شرح ابن عقيل لابن عقيل
٢٨ــ التفسير الواضح للشيخ محمد محمود حجازى
٢٩ــ تفسير القرآن العظيم للامام ابن كثير
٣٠ــ الاسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير أ.د. بدوى شهبة

كتبه راجى رحمة الرحمان

د. أحمد محمد على عثمان
مدرس التفسير وعلوم القرآن
بكلية الدراسات الاسلامية بسوهاج